الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والادب العربي

تخصص حضارة عربية إسلامية

مذكـــرة تخرج لنيل شهادة ماستـــر

تحـت عنوان :

التصويـر الفنـي فـي سـورة يوسـف "عليه السلام"

من إعـداد الطالبيـن:

- سـي علـي أمـيـن
- صولـــي سنـــاء

تحت إشراف الأستـــاذ الدكتور:

- فارســي حسيـــن

2013 م – 2014 م

1434 هـ – 1435 هـ

دعـــــــــاء

بسـم الله انت ربـي لا اله إلا انت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت و أبوء لك بنعمتك علي و أبوء لك بذنبي فاغفرلي ذنبي فانه لا يغفر الذنوب إلا انت.

قال رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا مات ابن آدم انقطع من ثلاث:

صدقة جارية,أو علم ينتفع به,أو ولد صالح يدعوا له"

يقول عماد الاصفهاني :

إني رأيت انه لا يكتب أحد كتاب في يومه إلا قيل عنه لو زيد هذا لكان احسن,ولو زيد

هذا لكان افضل,ولو ترك هذا لكان اجمل.

قال الشافعي رحمه الله:

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخوا علم كمن هو جاهل

وان كبير القـــوم لا عنده صغيرا اذا التفت عليه الحافل

وان صغير القوم ان كان عالما كبير اذا ردت اليه المحافـــل

إهـــــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة على النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبعـــد.....

الى من كانت ولا زالت منبع الحنان ورمز الامل

الى من سقتني حبا واطعمتني نصائحها

إليك أمي الغالية الحنونة

إلى من تحدى الحياة بحلاوتها و مرارتها

إلى من حرص على إجتهادي و رسم طريقا لبلوغ هدفي

إلى رمز التحدي و العزيمة....إليك أبي الغالي

إلى زهرة البيت المتفتحة سامية

إلى أخواي العزيزان كريم و أسامة

إلى صاحبة القلب الطيب خالتي زبيدة

إلى من من ساندتني و كانت مصدرا للقوة و العزيمة

إلى من قاسمتني هذا العمل إليك زميلتي الغالية سناء

إهـــــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة على النبي المصطفى محمد صلى

الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبعـــد.....

إلى من حملتني وهنا على وهن إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها

إلى مصدر السعادة و دواء كل سقم

اسأل الله إن يقدس روحك في عليين إليك أمي الحبيبة

إلى من أفنى عمره من أجلنا

إلى من أبلى شبابه في خدمتنا

إلى من حرص على اجتهادي إليك أبي الغالي

إلى منارة البيت أختي الغالية كوثر

إلى أخي العزيز إلياس و زوجته

إلى خالتي سليمة و إبنتها الكتكوتة ريهام , إلى خديجة

إلى خالتي زبيدة ذات القلب الحنون

إلى رفيق دربي إلى من كان سندا لي و مدّني بالقوة و العزيمة و بلوغ

هدفي إليك زميلي الغزيز "أمين

شكـــر و تقديـــــر

يقول النبي صلى الله عليه و سلم "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

نتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير و الإمتنان إ لى كل من أمدنا بيد العون على إنجاز هذا العمل

أستاذنا المشرف فارســـي عبد الرحمـــن الذي تشرفنا بقبوله الإشراف على هذه المذكرة و تشجيعه إيانا على المضي في كتابة موضوعها و الذي بذل الكثير من الجهد رغم إنشغالاته الكثيرة.

كما نود أن نتقدم بالشكر للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الذين منحونا شرف القبول لمناقشة مذكرتنا

و نشكر كل من ساهم في سبيل إنجاز هذه المذكرة و جزى الله الجميع خير جزاء.

المقدمـــــة:

الحمـد لله وحده والصلاة والسلام على أشرف خلـق الله حبيبــه وشفيعنـــا يوم القيامـــة.

كان القرآن ولا يزال دستورا وبحرا واسعا لما يحمله من إعجاز وعذوبة لا تضاهى وتلاوة لا يوجد مثيلها ولم يقدر لبشر ولا جان أن يأتي بمثل رونقه فله دقة ألفاظ غاية في الإبداع وقد عجز العرب عن مجاراته في أي شيء فثبت عليهم العجز في كل مجالات أدبهم وبلاغتـهم ونظمهم ونثرهم وقصصهم وشعرهم إلى ذلك من فنـون القول والبلاغة كالتشبيهات والكنايات والمجاز والاستعارات وقد كلت عقول العرب وعجزت ألسنتهم ولم يستطيعوا أن يأتـوا بمثله ولـو بسورة فوقفوا عاجزين أمام جزالة ألفاظه وعذوبتها وبلاغتهـا السّاحرة وانطلاقا من هذا كان اختيارنا لهذا الموضوع للكشف عن جزئية في سحر البيان القرآني المتمثلة في أسلوب التصوير الفني في القرآن الكريم تحديدا في صورة يوسف "عليه السلام " وهنا كان الإشكـال المطروح هو:

ما مفهوم التصوير الفنـي في القرآن الكريم ؟ وما هي خصائصه الفنيـة الذي يبنى عليها ؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه إن شــاء الله في بحثنـا هذا ،لذا اقتضت طبيعة الموضوع أن يشمل بحثا على مدخل وثلاثة فصول:

- **فالمدخل :** تعرضنا فيه إلى مصطلح التصور والتصوير عند بلغاء العرب في ظل القـرآن.
- **أما الفصل الأول :** فقد عنونـاه بالتصوير الفنـي في القرآن الكريم وتطرقنا من خلاله إلى مفهوم التصويـر ومشاهده وسماتـه التصويرية.
- **أما الفصل الثاني :** فقد كان عنوانه هو التعريف بسورة يوسف "عليه السلام " حيث أدرجنا تحته ماهيـة السورة الكريمة ومحور مواضيعها ومستوياتـها.

- **فأما الفصل الثالث :** الذي يحمل عنوان الدراسة الفنيـة لسورة يوسف "عليه السلام " والتي تقوم على المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه كما تضمن التكرار في السورة الكريمة هو تقييم علمي نظري.
- **أما الخاتمة :** فكانت حوصلة عامة حول بحثنا وكأي بحث فإنه لم يخلوا من صعوبة الحصول على المراجع والمصادر التي تناولت موضوع التصوير في القرآن واعتمدنا على منهج نظري نظري.ثم ختمنا بالمنهج العلمي مع توضيح وتبيان الخصائص الفنية التصويرية في القرآن وكنموذج على ذلك حللنـا قصة يوسف وقد اعتمدنا على مصدر أساسي ومهم ألا وهو كتاب الله المقدس "القرآن الكريم " إضافة إلى كتاب التصوير الفنـي في القرآن لسيد قطب ونظرية التصوير الفنـي عند سيّد قطب لصلاح الدّين عبد الفتاح الخالـدي.

وأخيـــرا نسأل الله أن يوفقنا بالرشاد ويهدينا إلى سواء السبيل ويجعل عملنا مقبولا خالصا لوجهه الكريـــــم.

مدخـــــل

أنزل الله القران الكريم معجزة على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ،فكان أسلوبه مادة الإعجاز العربي في كلام العرب فقطع العرب و أبهرهم بأسلوبه الرأي واعتقلهم عن الكلام فيها,وضربهم بالحجة من انفسهم وتركهم على ذلك منبهرين.ولما ورد عليهم بأسلوب رائع رأوا ان ألفاظهم بأعينها متساوية فيما القوة من طرق الخطاب,وألوان المنطق غير انه ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيبه,ونسق حروفه في كلماتها,وكلماته في جملها,ونسق هذه الجمل في جملته,ما اذهلهم عن انفسهم,من هيبة رائعة و روعة مخوفة وخوف تقشعر منه الجلود,حتى احسوا بضعف الفطرة القوية,وتخلف الملكة المستحكمة ورأى بلقائهم انه جنس من الكلام غير ما هو فيه وان هذا التركيب هو روح الفطرة اللغوية فيهم,وأنه لا سبيل إلى صرفه عن نفس أحد العرب أو اعتراض مصاغه إلى هذه النفس[1] .

فالقرآن جذب العرب الى الايمان بما فيه من روعة و قوة وبيان وإيجاز معجز وأقوال محكمة و قصص تطول وتقصر,هي مملوءة بالعبر في طولها وقصرها وإطنابها الرائع وإيجازها الذي لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أوخاها بالعبارة الناصعة والإشارة الواضحة,فما كان الايمان نتيجة تحد للمقاويل منهم وعجز,وان كان العجز ثابتا ,وإنما كان الايمان ثابتا بالقرآن فهو الذي جذب إلى الايمان بما فيه من بيان أدركوا أنه فوق طاقة البشر وأنه حقائق ثابتة [2] كما قال الله تعالى **"لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيَانِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُم الكِتَابَ وَ المِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْس شَدِيد وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله مَنْ يَنْصُره وَ رُسُلُه بِالغَيْب إِنَّ اللهَ قَوِيّ عَزِيزٌ"[3]** .

---

(1) مصطفى صادق الرفاعي,اعجاز القرآن والبلاغة النبوية,طبعة مزيدة ومنقحة,رج لنجو عباس مؤسسة القاهرة,ط1 تخ 2003 ص 139.

(2) محمد ابو زهرة,المعجزة الكبرى في القرآن,دار الفكر,ط1 تخ 1970 ص125

(3) سورة الحديد الاية 25

و الدليل على أن القرآن معجزة خلقية من عند الله للناس اجمعين فهو إن جاء بلسان العرب و فيه أعلى درجات البيان العربي ، يشتمل في ثناياه على ما يعجز الناس أجمعين نفاذا كان قد أعجز العرب ببيانه فقد اعجز الناس أجمعين بمعانيه وشرائعه وما اشتمل عليه من علوم ،بل بما فيه ايضا قال الله تعالى**"قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَت الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض ظَهِيرًا"**[1] .

والعرب عندما تلقوا القرآن راعهم بيانه,وأثاره اعجابهم اسلوبه و عباراته وقالوا ما رأينا مثله شعرا ولا نثرا فكان العجز لذاته,لا لشيء خارج عنه فالإعجاز كان في امور كثيرة منها تناسق الكلمات,وما تشعه من معان و أخيلة بيانية في وسط اسلوب مكتمل البيان يلتقي بنغمه وفواصله وصوره البيانية مع الالفاظ المحكمة ولقد ذهب القاضي عياض لتبيان اعجاز القرآن فعده في اربعة اوجه في كتابه الشفاء:

1. حسن تأليفه والتئام كلماته,وفصاحته وبلاغته الخارقة لما عند العرب
2. صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه,ووقفته عند مقاطع ثلة منه
3. ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات,وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر كقوله تعالى:**" لَتَدْخُلَنَّ المَسْجِدَ الحَرَام إِنْ شَاءَ الله آمِنين"**[2]

وكقوله تعالى:**"غَلَبَت الرُّوم فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غلبهم سيغلبون فِي بِضْعِ سِنِين"**[3]

إلى آخر ذلك من الأمور المغيبة التي أخبر القرآن عنها قبل وقوعها فوقعت كما أخبر.

---

(1) سورة الاسراء الآية88

(2) سورة الفتح الآية 27

(3) سورة الروم الآية4,2

4. ما أخبربه من أخبار القرون البائدة ,والشرائح الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة ما قدمه أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله صلى الله عليه وسلم لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم أمي لا قرأ ولا اشتغل بدراسة.

هذا ما ذكره القاضي عياض فالأمرين الاولين يتعلقان بالناحية البيانية في القرآن ,وإنّ أولهما يتعلق بتأليف كلماته وتناسقها مع فصاحتها وسلامتها من الحواشي ،والثاني بصورة النظم ومع تخالف حقيقتها نجد كلا منهما ينتهي الى الناحية البيانية.

أما الامران الآخران فإنهما يتعلقان بصدق الاخبار التي اشتمل عليها القرآن الكريم بيد ان الاول يتعلق بالأخبار عن الغيب في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى والثاني يتعلق بالإخبار عن الماضي[1]

فالقرآن في أعلى درجات البيان من حيث لفظه, و من حيث نغماته و من حيث مغازيه و من حيث الصور البيانية التي تكون في ألفاظه و عباراته حتى أن كلمته لها صورة بيانية تنبثق منها منفردة و بتأخيرها مع أخواتها في العبارة تتكون صورة بيانية أخرى, وشرائع منظمة للعلاقات والسلوك الانساني القويم[2]

والقرآن لم يأت بالاستعارة لأنها استعارة بالمجاز لأنه مجاز,أو بالكناية لأنها كناية أو ما يطرء مع هذه الاسماء والمصطلحات انما اريد به وضع معجز في نسق الفاظه وارتباط معانيه على وجودها لسياستين في البيان و المنطق فجرى عن اصولهما في ارقى ما تبلغه الفكرة اللغوية على اطلاقها في هذه العربية,فهو يستعير حيث يستعير ويتجوز حيث يجوز ويطنب ويوجز ويؤكد ويعترض ويكرر الى آخر ما أحصى في البلاغة ومذاهبها لأنه لو خرج عن ذلك لخرج من ان يكون معجزا في جهة من جهاته لاستبان فيه ثمة نقص يكمن في موضعه ما هو أكمل منه وأبلغ في القصد و الاستفتاء[3].

---

(1) محمد ابو زهرة المرجع السابق ص 79, 80

(2) المرجع السابق ص 58

(3) مصطفى صادق الرافعي,المرجع السابق ص 202

فالعلماء يقولون ان كل ذلك فنون من بلاغة وقع بها الاعجاز لأنهم اصطلحوا على هذه التسمية التي حدثت بعد العرب,ولو قالو أن القرآن معجز في العربية لان الفطرة والعقل لا يبلغان مبلغه في سياستي البيان والمنطق بهذه اللغة لكان ذلك أصوب في الحقيقة وأبلغ في حقيقة الصواب وأمكن في معنى الاعجاز,وأتم في هذا الباب كله,ما دام في لسان الدهر حرف من العربية[1]

إن اسلوب القرآن هو الصورة البيانية التي تظهر في معنى رائع وكلام مشرق يثير في النفس أخيلة الحقيقة يصورها ويبينها,ويحسن الانسان فيها بأطياف المعاني ,كما يحسن بأطياف الصورة على حسب تثقيف المصور وحسن الاختيار في ألوان الصور فالأساليب ألوان تحسن وتنسق وتصرف في أوضاعها كما قال الله تعالى"أُنْظُرْ كَيْفَ نَصْرِف الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقهون"[2]

فالقرآن في أسلوب جُمع في أسلوب أرقى ما تحسه النفس البشرية من أوضاع البيان ومذاهب النفس اليه في الجمال الصوتي,والتناسق الفني للمعنى وبراعة العبارة وسموا التركيب وتصوير الاحساس اللغوي بألوان من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها مما يكون مع ذلك حقيقة الاحساس اللغوي[3].

كما يعد الاسلوب القرآني ظاهرة مشوقة وذلك لأحكام سبكه ودقة تعابيره ووضوح كما بيانه كما انه يتنقل من موضوع آخر,ومن اسلوب دون ان يخل ذلك بوحدة الصورة انما يضفي روحا الى تركيبية,وذلك لان روح القرآن الكريم سيطرت على الاسلوب من خلال نظمه وتناسق معانيه.

وما قال الجاحظ:"المعاني المطروحة في الطريق,يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني,وإنما الشأن في اقامة الوزن تخيل اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع,وجودة السبك ,فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج والجنس من التصوير"[4]

---

(1) مصطفى صادق الرافعي,المرجع السابق ص 202

(2)سورة الأنعام الاية 65

(3)المرجع السابق ص 195دكتور جابر عصفور,الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب,المركز الثقافي العربي بيروت ط 3 تخ 1992 ص 255

فقد كان يطرح ربما لأول مرة في تاريخ النقد العربي,وبعض الافكار الهامة التي سيطرت على الأجيال طويلة من البلاغين والنقاد من بعده,والجاحظ متميز الذوق والثقافة عن معاصريه,فهجومه الساحر على جهود لغوي في عصره,وعلى عدم قدرة كثير منهم على تذوق الشعر وتفهمه وتوتره الفكري,وحرصه على الانفتاح على الثقافات الوافدة,وقدراته العقلية,التي نماها الاعتزال على التحليل و التعليل و التأمل كل هذا يجعله ابعد ما يكون عن رجال مثل المبرد أو الثعلب أو ابن قتيبة و غيرهم ممن كان لهم تأثيرهم طوال القرن الثالث للهجرة أن الشعر عند الجاحظ نشاط متميز قد لا يؤدي بنا إلى ضرب خاص من المعرفة مثل الفلسفة ,وقد تكون فائدة محصورة وليس عامة مثل الصناعات و الأرفاق و العلوم,و لكنه يمكن أن يحقق لنا قدرا متميزا من المتعة و يؤثر في نفوسنا تأثيرا خاصا,عندما يصوغ الأفكار المألوفة,صياغة جديدة تكسبها غرابة و طرافة وجدة لم تكن لها من قبل,مثل هذه الظاهرة رغم هوانها جعلت الجاحظ يضيق بالنظرة اللغوية إلى الشعر,تلك النظرة اللغوية الصارمة,التي لا ترى من الشعر إلا كلماته الغامضة و معانيه المشكلة التي تستحق التأويل وتصلح لان تكون نماذج لتعليم اللغة و الغريب و الإعراب.

ومن هنا جاء هجوم الجاحظ المشهورة على ابي عمرو الشباني,اذا ناب عندما سمع بيت القائل:

لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا أفضع من ذاك لذل السؤال

أعجب بهما إعجابا شديدا,بينما هما في نظر الجاحظ لا يمكن ان يدخلا عالم الشعر أو يوصف بهما صاحبهما بالشاعرية,إذ يقول:"أنا أزعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا,ولولا أنأ دخل في الحكم بعض الفتك لزعمت ان ابنه لا يقول شعرا ابدا"ويبني الجاحظ رفضه للبيتين على أساس أنه ليس المعول في الشعر على نظم الحكم والأفكار المجردة بل المعول فيه القدرة على صياغة هذه الافكار,صياغة جديدة مؤثرة تعتمد على التصوير"فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[2]

(1) الدكتور جابر عصفور,المرجع السابق ص256

(2) المرجع السابق ص257

والعبارة على انفعاليتها الواضحة تقدم لنا مصطلحا هاما بالنسبة لموضوعنا وهو التصوير,ورغم ان المصطلح اي التصوير كان يستخدم قبل الجاحظ الا انه يكتسب دلالة خاصة ويشير داخل سياقه بثلاث مبادئ لها ما يدعمها في كتب الجاحظ وتفكيره النقدي وأول هذه المبادئ ان للشعر أسلوبا خاصا في صياغة الافكار والمعاني وهو أسلوب يقوم على اثارة الانفعال,واستمالة المتلقي الى موقف من المواقف,وثاني هذه المبادئ ان اسلوب الشعر في صياغته يقوم في جانب كبير من جوانبه على تقديم المعنى بطريقة حسمية,اي ان التصوير يترادف مع ما نسميه الآن بالتجسيم,وثالث هذه المبادئ ان التقديم الحسي للشعر يجعله قرينا للرسم,ومشابها له في طريقة التشكيل والصياغة والتأثير والتلقي,وهذه المبادئ الثلاثة سابقة الذكر التي يشير اليها مصطلح التصوير يمكن التثبيت منها والتعمق فيها من خلال دراسته للدلالات العامة,التي يستخدم بها الجاحظ كلمة التصوير ومشتقاتها في كتابة الحيوان و البيان والتبين,او في رسائلها المعروفة فهو في أحيان كثيرة يستخدم الجاحظ الكلمة في مرات عديدة ليشير بها الى عملية المخادعة أو التشكيل المخادع حيث يقدم الشيء على انه شيء آخر أو يتشكل في هيئات متنوعة غير حقيقية , وهنا بترادف التصوير مع التخيل,وهو مصطلح آخر يستخدمه الجاحظ في مواضع عدة من الحيوان,يشير به الى توهم كائنات أو أشياء غير حقيقية مثل العيلان أو عزيف الحب,أو ما شابه وفي هذا المجال الدلالي للكلمة يمكن أن يصف عمل الشاعر أو البليغ عامة على انه تصوير للباطل في صورة الحق[1]

(1) الدكتور جابر عصفور,المرجع السابق ص 158

(2) المرجع نفسه ص 159

وهذه المبادئ الثلاثة التي يقوم عليها مصطلح التصوير والتي تدعمها الدلالات العامة للكلمة لدى الجاحظ ليست بالضرورة منفصلة أو متمايزة تماما,بل ان كل منها يمكن أن يقضي الى الاخر ويتداخل معه,فمبدأ الصياغة المؤثرة التي تستميل المتلقي,لا يمكن ان يقوم بدون عملية التجسيم أو التقديم الحسي,وتلك بدورها اذا أجيد تحقيقها يمكن أن تؤدي الى الاستمالة والإثارة ،وربط الشعر بالرسم أمر ناتج عن ادراك ان التقديم الحسي للمعنى او التجسيم عنصر مشترك بين الشعر والرسم على أساس أن كلا من الرسام والشاعر يقدم المعنى بطريقة بصرية ،قد يكون الأساس النظري للمقارنة بين الشعر والرسم مفتقدا تماما في كتابات الجاحظ التي نعرفها ,لكن بعض أحكامه النقدية تؤكد جنوحه إلى هذه المقارنة وميله الى ذلك النوع من الشعر الذي يقدم مشهدا او منظورا واضحا لمخيلة المتلقي .

إن الجاحظ عندما طرح فكرة التصوير على هذا النحو عندما طرح فكرة التصوير على هذه النحو في مواجهة النظرة اللغوية إلى الشعر ممثلة في أبي عمرو الشيباني,كان يطرح لأول مرة في النقد العربي فكرة الجانب الحسي للشعر و قدرته على إثارة صورة بصرية في ذهن المتلقي,وهي فكرة تعد المدخل الأول أو المقدمة الأول للعلاقة بين التصوير والتقديم الحسي للمعنى,صحيح أن الجاحظ لم يحاول على الأقل فيما نعرفه من تراثه ان ينمي هذه الفكرة ويطورها,وهذا شأنه في كل قضايا الأسلوب و لكن مجرد طرح الفكرة على هذا النحو الانفعالي الذي طرحت به,والذي حاولنا أن نوضحه ،أثار الانتباه إلى طبيعة الدور الذي تلعبه الإحساسات البصرية في عملية تشكيل الشعر و في عملية تلقيه في النفس الوقت و بدا البلاغيون و النقاد بعد الجاحظ يلتفتون إلى التصوير الأدبي ،و يهتمون بتأمل خصائصه الحسية ،و طريقته الخاصة في تمثيل المعنى للحواس ،مما جعلهم يتوقفون كثيرا إزاء النص القرآني و النصوص و الشعرية محاولين أن يكتشفوا طرائقها الخاصة في تصوير المعنى و تقديمه للحس[1].

طرح الجاحظ إذن فكرة التصوير على بساط البحث ،لكنه لم يحاول اختبار الفكرة اختبارا علميا أو يوظفها أو يعمقها و يطورها ليحلل من خلالها آيات القرآن الحكيم,و كانت طريقته في التحليل تدور في الإطار الجاحظي[3].

(1) الدكتور جابر عصفور,المرجع السابق ص 161

(3) الدكتور جابر عصفور,المرجع السابق ص 162

لقد توقف الرماني أمام مشكلة الإعجاز,و حاول أن يربط جانب منها ببلاغة النص القرآني و طريقته الفذة في تقديم المعنى إلى المتلقي,وكان من الضروري أن يواجه التشبيه و الاستعارة ،ويتأمل قدرة كل منهما على التأثير،فيما يتلقى النص القرآني و رأى الرماني أن جانبا كبيرا من قدرة الاستعارات و التشبيهات القرآنية على التأثير يرتد إلى تقديم المعنى للحواس.

لقد لاحظ أن النقلة في الاستعارة القرآنية تبدأ من المعنوي العقلي و تنتهي إلى الحسي العيني,الذي يعرض المعنوي من خلاله ،ومن هنا سهل عليه أن يفترض أن الاستعارات القرآنية و التشبيهات تتناول معنى أصليا مجردا ،وتقدمه تقديما محسوسا,و ذلك عن طريق ربطها المعنوي المجرد بالحسي العيني ،واربطها الصورة الحسية بالأخر اشد منها تمكنا في الصفات الحسية و بهذا الفهم أو بهذه النتيجة أصبحت بلاغة التشبيه و الاستعارة القرآنية قرينة قدرتها على تصوير المعنى[1].

ووقف الرماني في ضوء هذا الفهم عند استعارات القرآن الكريم,ورأى أن قوله تعالى في وصف نار جهنم:"تكَادُ تُمَيّز مِنَ الغَيْظِ " أبلغ من آي تعبير أخر لان مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس,وأن قوله تعالى:"فَجَعَلْنَاهَا هَبَاءً مَنْثُورًا " أبلغ لأنه بيان قد أخرج ما لا تقع عليه حاسة إلى ما تقع عليه حاسة,و كذلك قوله تعالى:"فدلهما بغرور"ابلغ لإخراجه إلى ما يحس ونجد نفس الأمر في تحليله للصورة الاستعارية " الم ترى أنهم في كل واد يهمون"حيث أصبحت الاستعارة أبلغ لما فيها من البيان بالإخراج على ما يقع عليه الإدراك و قوله تعالى "وَلَمَّا أَسْقَطَ فِي أَيْدِيهِم" حيث تصبح الاستعارة ابلغ للإحالة فيه وعلى الإحساس.

وكلمتنا الإدراك والإحساس اللتان يلح عليهما الرماني هنا تعنيان عادة الإدراك البصري و الإحساس البصري,وبهذا فهم يؤكده شرحه لبلاغة الصورة القرآنية قال تعالى"فنبذوه وراء ظهورهم"على أساس إن الاستعارة فيها أبلغ لما فيها من الأحلة على ما يتصور,و قوله"لتخرج الناس من الظلمات إلى النور"ابلغ لما فيها من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالإبصار و قوله "فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَمْ تَغْنَ بِالأَمْس " أبلغ لما فيها من الإحالة على إدراك البصر[2] .

(1) الدكتور جابر عصفور,المرجع السابق ص 162

(2) المرجع السابق ص 262,264

أما العسكري فإنه يأخذ فكرة الرماني أخذا حرفيا,بل إن أغلب الآيات التي يتوقف عندها هي بعينها التي توقف عندها الرماني,لكن اللافت عند العسكري انه يلح على التقديم البصري للمعنى أكثر مما يفعله الرماني,ومن ثم يلح على أفعال الرؤية و المشاهدة,و عندما يصف الطبيعة الحسية للتعبيرات الإستعارية ,وهكذا ترتد بلاغة كثير من الإستعارات إلى إخراجها ما لا يرى إلى ما يرى ,أو التعبير عما,لا يشاهد بما هو مشاهد,فمثلا ترتد بلاغة الصورة القرآنية"فنبذوه وراء ظهورهم"إلى ما فيها من إخراج ما لا يرى إلى ما يرى و قوله تعالى"فدلاهما بغرور"إلى التعبير عن فعل إبليس الذي لا يشاهد بالتدلي من العلو إلى الأسفل وهو مشاهد ،وقوله تعالى"ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك",فحقيقة التعبير الاستعاري لا تكون ممسكا و الاستعارة أبلغ ،لأن الفل مشاهد و الامساك غير مشاهد فصور له قبح صورة المغلولة ليستدل به على قبح و استعمال كلمة (صورة) هنا مع فعلها يدل على محاولة العسكري الاجتهاد في الإفادة من فكرة التصوير عند الجاحظ و تطبيقها على محاولة النص القرآني , بعد تمثيل و تحليل الرماني تطبيقا خاصا يلح على الجانب البصري من التقديم الحسي للاستعارة [1]

ما يقال عن الاستعارة عند الرماني يقال عن التشبيه ,الذي يتفاضل فيه الشعراء,و تظهر فيه بلاغة البلغاء,ويقع التشبيه عند الرماني على وجوه أربعة ومنها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة,وإخراج ما لم تجربه عادة إلى ما تجري به العادة,و إخراج ما لا يعلم بالبديهة الى ما يعلم بالبديهة ,وإخراج ما لا قوة له في الصفة,وهذه تفريعات منطقية في التقسيم وتتناسب و ثقافة الرماني بمنطقية ونجد صدى ما يقوله الرماني لدى غير واحد غير واحد في أواخر القرن الرابع للهجرة مثل :ابن جنى , و العسكري,أما ابن جنى فانه نظر إلى المجاز نظرة شبيهة بنظرة الرماني,فالمجاز عنده تجسيد للمعنوي وتقديم له في صورة حسية و ذلك بهدف تأكيد المعنوي و تشبيه في النفوس,و هو يشرح هذه الفكرة بمصطلحات مخالفة لما نجده عند الرماني لكنه يلتقي معه في الفكرة الأساسية , وعلى هذا الأساس يصبح قوله تعالى"و أدخلناه في رحمتنا"مجازا يقوم على التشبيه الرحمة وهي أمر معنوي بشيء محسوس ملموس مما يؤكد المعنوي[2].

(1) الدكتور جابر عصفور,المرجع السابق ص 265, 264,262

(2) المرجع السابق ص 265

لانه أخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر و هذا تعال بالعرض و تفخيم له إذ صير إلى حيز ما يشاهد و يلمس و يعاين.

و لكن الملاحظ ان الرماني و ابن جنى و العسكري و غيرهم يتعاملون مع فكرة التصوير بشكل جزئي ضيق , و من خلال قصرها على أنماط الاستعارة والتشبيه فحسب مع أن الفكرة يمكن أن تكون اعم من ذلك و اشمل لو نظرنا إلى الأسلوب القرآني كله على انه أسلوب تصويري يقوم على مخاطبة الخيال و الوجدان , مثلما يقوم على مخاطبة الخيال و الوجدان , مثلما يقوم على مخاطبة العقل و الرؤية [1]

و يتمثل الفارق بين الزمخشري و بين الرماني و العسكري في أن الزمخشري حاول ان ينظر إلى المسألة على أنها أسلوب شامل يمكن أن يطبق على القرآن بشكل اعم و أوسع ولقد ساعده على ذلك أن فكرة التصوير نفسها أثريت ثراء ملحوظا نتيجة لتطبيقها على الشعر و ربطها بالتخيل الشعري خاصة في القرن الخامس , و كان الدراسة القرآنية بعد أن أسهمت في إنضاج فكرة التقديم الحسي للشعر عادت لتتأثر بدراسات الشعر.

و تعميق بالافادتها من هذه الدراسات فهمها لفكرة التقديم في القرآن و ما كان يمكن للزمخشري أن يستخدم مصطلحات مثل التصوير و التخيل و التمثيل و يعني الأساس الفني الذي تقوم عليه ،و يطبقها على الصور القرآنية لو لم يفد من الإنجازات الايجابية و السلبية لمن سبقوه طوال القرنين الرابع و الخامس للهجرة [1].

(1) المرجع السابق ص 265

لقد توقف الرماني عند الاستعارة و التشبيه في القرآن باعتبارهما أدوات أو وسائل للتقديم الحسي للمعنى و لكن الزمخشري لا نفسه ببعض الأدوات او الوسائل فحسب ،بل هو مهتم في الفصل الأول بطبيعة التقديم الحسي ذاتها , على النحو الذي يتميز به أسلوب القرآن ،و إلحاحه على طبيعة التقديم الحسي , ذاتها جعله يلح على استخدام مصطلحات اعم , يمكن أن تندرج تحتها التشبيه الاستعارة مثل التصوير و التمثيل و التخيل , و استخدم الزمخشري لهذه المصطلحات مجتمعة اعني التمثيل و التخيل و التصوير امر له دلالته السلبية و الإيجابية في نفس الوقت.

أما الدلالة السلبية فإنها تشير إلى أن الزمخشري كان يعاني من عدم وجود مصطلح دقيق و محدد يشير إلى ما يتميز به الكلام البليغ بعامة من تقديم حسي للمعنى,و يستشعر نوعا من دقيق الاضطراب و التعدد في دلالة المصطلحات التي وجدها مستخدمة قبله و هي مشكلة عسيرة تواجه أي دارس للنقد العربي فالتصوير مثلا قد يشير إلى مجرد الشكل و الصياغة , و قد يشير إلى فن الرسم و النحت و التخيل , و يمكن أن يشير إلى نوع من أنواع المخادعة و الإبهام كما يمكن أنيشير إلى نوع من الاقسبية المنطقية الكاذبة مثل التخيل و هي دلالة جعلت فقيها مثل ابن المنير السني يستنكف عن اسخدام كلمة مثل التخيل رديئة السمعة لوصف تعالى و يفضل عليها كلمة أخرى مثل التمثيل ذاتها لها معاني أضيق مما كان يريد الزمخشري و كأنه أحسس أن ثمة فرقا غير يسير بين الصورة التمثيلية في القرآن و تشبيه التمثيل بمفهومه المحدد الضيق عند البالغين من قبله ذلك لان الصورة التمثيلية في القرآن لا تقتصر تشبيه شيء بشيء , أو حالة بحالة ،بل تتجاوز ذلك إلى إحلال طائفة من الصور الحسية محل طائفة من المعاني المجرّدة، و ربط هذه الصورة الحسية ببعض برباط ذهني.

---

(1) المرجع السابق ص 266

أما عن الدلالة الإيجابية ،فإنها تشير إلى معانات الزمخشري في القبض على فكرة التقديم الحسي في القرآن ،و السيطرة عليها ،وتوضيحها بأقصى ما يستطيع خاصة أن توضيح هذه الفكرة يمكن أن يحل مشاكل كثيرة على مستوى العقيدة من الجانب الاعتزالي الصرف المرتبط بالتوحيد و كان الزمخشري حرصا على الإمساك بفكرة التقديم الحسي و حرصا على توضيحها إثر أن يستخدم أكثر من مصطلح ,كل منها يكمل الآخر و كل منها عندما يقترن بغيره يمكن أن يشير إلى الدلالة محددة ،و باستخدام هذه المصطلحات المتزاوجة مجتمعة أو منفردة,يمكن له أن يوضح أن التقديم الحسي للمعنى القرآني أسلوب اعم من التشبيه و الاستعارة,وان الصورة الحسية لا تستعمل في هذا الأسلوب على جهة الحقيقة او على جهة المجاز,وإنما هي تصوير للمعنى و تمثيل له في مخيلة المتلقي فحسب و يمكن توضيح ذلك بتفسير الزمخشري لقوله تعالى في سورة الزمر"والأرض جميعا قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه"إذ يقول و الفر من معنى هذا الكلام إذا اخذته كما هو بجملته و مجموعة,تصوير عظمته و التوقف على كنه جلاله لا غير من ذهاب بالقبضة و لا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز و لعل هذا النص يوضح الفرق بين الرماني و الزمخشري و يكشف أن الاهتمام عند الزمخشري لا ينحصر في طبيعة العلاقة بين أصل المعنى و حقيقته و بين صورته المجازية و إنما يتركز الاهتمام على طريقة التمثيل ذاتها و تصوير المعنى للحواس دون الإلحاح دائما على فكرة العلاقة بين الأصل و الفر أو المجاز و الحقيقة و هنا المسألة أوسع و اشمل مما كانت عليه عند الرماني[1].

(1) المرجع السابق, ص 170

و تشير الدلالة العملية لاستخدام هذه المصطلحات التصوير-التخيل-التمثيل إلى جانبين متداخلين يفضل بينهما لمجرد التوضيح أما أولهما فهو متصل بتقديم المعنوي المجرد من خلاله الحسي العيني,و هذا أمر يتم عن طريق إحلاله طائفة من الصور الحسية محل طائفة المعاني المجرد تمثيلا لتلك الأخيرة,و تمكينا لها من أن تتصور تخيل في ذهن المتلقي,على أساس أن المفروضات يمكن أن تتخيل في الذهن كما تتخيل المحققات,وأما الجانب الثاني فهو متصل بما نسميه الآن بالتشخيص و هو يقوم على خلع الإنساني,أو إضفاء الخصال البشرية على الأشياء، أو كائنات غير إنسانية سواء كانت حية أو جامدة,معنوية او غير معنوية وسواء كان المقصود باستخدام هذه المصطلحات هو إبراز هذا الجانب أو ذاك فإن ثمة هدفا أساسيا يسعى الزمخشري لتحقيقه و هو إظهار بلاغة القرآن و ر دها إلى تصوير المعنى للحس.

وعلى هذا الأساس فسر الزمخشري الآيات القرآنية التالية:"مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه كمثل حبة انبتت سبع سنابل"بأنه نوع من التمثيل يقصد به تصوير للإضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر,أو يفسر قوله تعالى:"وَ قَالَت اليَهُودُ يَدُ اللّه مَغْلُولَة غُلَّتْ أَيْدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا,بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان"على أساس ان غل اليد من المعاني لا من الاعيان كفان كذا,وهو أمر يوضحه ابن المنير السني,بقوله ان الاية تقوم على تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالبا ولا شيء اثبت الصورة الحسية في الذهن,فلما كان الجود والبخل معنويين لا يدركان بالحس و يلازمها صورتان تدركان بالحس وهما بسط اليد وقبضها للبخل,عبر عنهما لفائدة الايضاح والانتقال من المعنويات إلى المحسوسات ،وعلى هذا الاساس أيضا فسر الزمخشري الآيات التي تقوم على بث الحياة الانسانية في الجوامد أو إضفاء الصفات البشرية على ما هو غير بشري،على انها تخيل وتصوير فقوله تعالى:"إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين"تمثيل وتخيل وهكذا يرتد جانب كبير من بلاغة القرآن وقدرته على التأثير الى الأسلوب الخاص الذي يصور المعاني للمتلقي ويمثلها ،عن طريق التوسل بصورة حسية أو بلغة المنظور والمشاهد التي تخيل المفروضات في الذهن وتحققها ،وتقدمها كما لو كانت أشياء واقعة مشاهدة[1].

(1) المرجع السابق , ص 172

ولعل إلحاح الزمخشري على الكلمات والأفعال والصفات المرتبطة بالإحساسات البصرية,ينم عن تركيزه على ما نسميه الان بالصورة,وانه لم يكن يعرف انماط الصور بمفهومها السيكولوجي الا النمط البصري وحده,دون غيره من الانماط,وكان الاحساسات التي يمكن ان تثيرها الصورة القرآنية في مخيلة المتلقي إنما هي إحساسات بصرية حسية و حتى عندما ينحدر الزمخشري من الافاق الوحية للتخيل و التصوير إلى مجالات أكثر تفصيلا و جزئية مثل الحديث عن التشبيه أو الاسعارة أو المجاز الإسناد , أو المجاز المرشح أو تغيير صيغ الكلام و نقل دلالة الأفعال من المضي - مثلا - إلى الاستقبال أو العكس ...الخ , فإن نفس النظرة تظل قائمة و يستمر نفس التركيز على الجانب البصري , على الإحساسات البصرية التي يمكن أن يثيرها التصوير القرآني في مخيلة الملتقي[1] .

وجلي أن الزمخشري الزمخشري يتشابه في هذا مع من قبله مثل الرماني و العسكري و ابن جني إذ أنهم جميعا يقصرون التصوير على التقديم البصري للمعنى فحسب و من هنا يصبح إلحاحهم على أفعال الرؤية و مرادفاتها و مشتقاتها أثناء وصفهم للتصوير القرآني – أمرا مبرار مفهوما و لا شك في أن ذلك تضيقا لأنماط الصورة القرآنية , و حصرا لقدرتها الحسية الثرية و المتنوعة[2].

لقد تمنت هذه الجهود فيما بعد بجهود سيد قطب الذي يعد مكتشف و مؤسس لنظرية التصوير الفني و الواضح لسماتها و خصائصها التخيلية التصويرية , حيث كانت نظرته الأولى إلى القرآن الكريم , و من زاوية فنية جمالية , و لدواعي أدبية بحثة , كان يبحث عن الجمال و الفن في التعبير القرآني , فوجده كامنا في طريقة التعبير عن مختلف الأغراض فيه , وجده في التصوير الفني و أعلن ان غرضه لدراسة القرآن الكريم , و بيانه لألوان هذا التناسق[3] .

---

(1) المرجع السابق, ص 172

(2) المرجع السابق, ص 173

(3) صلاح عبد الفتاح الخالدي , نظرية التصوير الفني عند سيد قطب , شركة الشهاب , باتنة , ط 2 تخ 1988 ص 251

أما الغرض الديني مقصود من الغرض الفني للأغراض القرآنية ،و لم يكن التعبير في القرآن لتعبير أو الفن للفن أو التصوير للتصوير إن التعبير البليغ المعجز فيه ،أداة مقصورة ،فهو يخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية ،و لذلك فإن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني و الغرض الفني.

إن الإعجاز القرآني في رأي سيد قطب يكمن في تصويره الفني,في استخدامه التصوير كطريقة للتعبير عن شتى الاغراض,ان مادة هذا التصوير هي الالفاظ ذاتها التي يستخدمها الادباء والبلغاء,فيصوغون بها كلاما بليغا,وقد يرسمون بها بعض الصور الفنية البدائية بالقياس الى الصور القرآنية ،ولكن القرآن يرسم منها صورا شاخصة متناسقة فيها الحياة وفيها الحركة[1].

لقد كان لنظرية التصوير الفني في القرآن أثر كبير في الدراسات الادبية والنقدية المعاصرة , كما كان لها أثر كبير في الدراسات القرآنية المعاصرة , و تلك التي تناولت الجانب البياني من القرآن الكريم حيث ا ستفاد منها معظم الباحثين , ووضعوا أيدهم بواسطتها على مكمن الجمال في أسلوب القرآن المعجز.

ففكرة التصوير الفني التي اكتشفها سيد قطب في الأسلوب القرآني هي فكرة أدبية نقدية ولذلك هو يعتبر كتابة التصوير الفني كتابة أدبية نقدية,كما يعد من الكتب الاساسية والمهمة في علوم القرآن والتي تبحث في القرآن من زاوية فنية بيانية[2].

وأول اثر لفكرة التصوير في الدراسات الادبية والنقدية,نلمحه في النتاج الادبي لصاحب الفكرة نفسها حيث كتب العديد من المقالات الادبية والنقدية في عدد من المجالات الادبية,كمجلة الرسالة والثقافة والكتاب المصري والكتاب والعالم العربي.

---

(1) صلاح عبد الفتاح, المرجع السابق ص 287

(2) المرجع نفسه,ص 323,322

وتناول في هذه المقالات مباحث نقدية على أساس منهج التصوير النقدي ومن هذه المقالات قواعد النقد الادبي بين الفلسفة والعلم,والنقد والفن,ومواضع النقد الادبي والصور والظلال في الشعر العربي,والوعي في الشعر,وقد ضم بعض المقالات في كتابيه كتب وشخصيات والنقد الادبي وأصوله ومناهجه,حيث جعل المنهج التصويري محور ارتكاز أبحاثه النقدية في كتابه النقد الادبي على وجه الخصوص[1].

كما استفاد من فكرة التصوير دارسوا الادب والنقد,وأساتذة العربة في المدارس والمعاهد و الجامعات وصاروا يطبقون هذه الفكرة على الشعر والنثر الفني من حيث خضوع القصيدة أو البحث للأسس الفنية النقدية ومن حيث توفر القيم التعبيرية للشاعر أو الناثر,والتي بينها سيد قطب في دراساته النقدية,كما طبقوا هذه الفكرة على نماذج فنية مختارة للقصائد الرفيعة وراحوا يستمتعون بما فيها من جمال فني و سحر تصويري

كان اثر نظرية التصوير الفني في القرآن واضحا ملحوظا في الدراسات القرآنية المعاصرة والتي ظهرت بعد صدور الطبعة الاولى من كتاب التصوير الفني عام 1945.

وقلّما يخلو كتاب من هذه الكتب سواء تلك التي خصصت في الناحية البيانية الادبية من القرآن والتي تحدثت عن إعجاز القرآن أو عرضت لمباحث من علوم القرآن.

وهذا لأن نظرية التصوير الفني تعتبر أساس الدراسات البيانية المعاصرة للقرآن الكريم ,وان كتاب التصوير الفني لسيد قطب كان له دور مهم في تبيان الجمال الفني من القرآن ولولاه لبقي يعرض على الطريقة التقليدية القديمة [2].

---

(1) صلاح عبد الفتاح,المرجع السابق ص 325,324

(2) المرجع نفسه,ص 327

و الدليل على ال الدراسات البيانية القرآنية,و التي تحدثت عن التصوير ,قد استفادت من كتاب التصوير الفني في القرآن هو ان الدراسات البيانية القرآنية التي سبقت كتاب التصوير الفني لم تتحدث عن التصوير كقاعدة للتعبير القرآني ,و أما الدراسات البيانية القرآنية التي صدرت بعد ظهور الطبعة الاولى لكتاب التصوير الفني في القرآن عام 1954,فمعظمها تحدث عن التصوير كقاعدة للتعبير القرآني,أو طبق بعض نماذج القرآن على الفكرة التصويرية.

ومن بعض النماذج للدراسات القرآنية المعاصرة,التي استفادت من فكرة التصوير نجد مثلا من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي ويعد هذا الكتاب من أوائل الكتب التي ظهرت بعد كتاب التصوير الفني فصدرت طبعته الاولى سنة 1950 ونجد أيضا القرآن الكريم هدايته وإعجازه لمحمد الصادق عرجون الذي تأثر هو أيضا بفكرة التصوير وبين ذلك في فصول كتابه.

كما نجد تأثر الشيخ محمد أبي زهرة بفكرة التصوير وبدى ذلك واضحا في كتابه المعجزة الكبرى وكان ذلك في انه أورد نماذج وأمثلة كثيرة من نصوص القرآن ووقف أمامها طويلا وبين ما فيها من روعة وجمال وإعجاز,فقال في مفتتح كلامه عن وجوه الاعجاز البياني أن كل كلمة من كلماته تعطى صورة بيانية,كل عبارة تجتمع من كلمات لها صورة بيانية واقعة,تصور المعاني كالصورة الكاملة في تصويرها,التي تتكون أجزاؤها من صور وتتجمع من الصور صورة متناسقة [1].

(1) المرجع السابق,ص337,331,329

وأورد المشهد المصور الحي لأصحاب الجنة في صورة القلم كمثال للتصوير القرآني للطمع و الشح ثم الندم,وعرضه من خلال وسط حي وتفاعل النفوس أُدمية به,وتصوير دقيق صادق لملامح هذه النفوس وانفعالاتها,كما حلل نموذجا انساني مصورا,لنفس كافرة,هي النفس الفرعونية الطاغية,وبين ملامحها وسماتها,كما تحدث عن التشبيه والاستعارة والكناية في القرآن وبيّن ما فيها من جمال تصويري وتخيل حسي[1] .

كما كان الدكتور صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن قد تحدث عن أشهر الكتب الخاصة بالإعجاز في القديم والحديث وعن الجمال الفني في تشبيه القرآن,واستعارته,عن المجاز والكناية في أسلوبه وعن الاعجاز في نظم القرآن.

وظهر تأثره بفكرة التصوير الفني في القرآن وهو يتحدث عن التشبيه في القرآن,واستعارته ومجازه وكنايته ونغمه الفني المعجز,حيث اورد نماذج من نصوص القرآن المصورة,وحللها تحليلا فنيا على ضوء التصوير الفني,ملاحظا توفر خصائص التصوير فيها متخيل او تجسيم او تناسق او حياة او حركة.

وقال في نهاية مبحث تشبيه القرآن,واستعارته:"والخلاصة اننا ال نريد ان نستبدل التجسيم والتشخيص والتخيل بعبارات البلاغيين القدامى,التشبيه والاستعارة وما شابه ذلك لان هذه التسميات المختلفة شكليات ال تمس جوهر الموضوع في شيء,وإنما ألاّ نغفل عن الحياة والحركة والتناسق الفني في المشاهد القرآنية,فإنها من ان تكتم,واقوى من ان تهمل,وبعد ذلك فلنعبر عن الصورة المحسوسة او المتخيلة بالتعبير الذي نؤثره فإما يكون بألفاظنا الحديثة السهلة التي تنفر من التعقيد تابى كلفة التعقيد,وتصور الحياة نفسها و بأصباغها الزاهية,وألوانها البديعية [2].

(1) محمد ابو زهرة ,المرجع السابق ص 231

(2) صلاح عبد الفتاح الخالدي ص 244, 345

رغم كل هذه الكتابات و جهود الكتاب و تأثرهم بالفكرة إلا أنهم لم يشيروا قط في حواشي الكتاب على أن السيد قطب قد سبقهم إلى ذلك و كان الأدب الروحي و مكتشف لهذه النظرية التصويرية الفنية في القرآن الكريم , و انه أشار إلى المصطلحات الفنية و بين ما تحمله من معاني قرآنية , فعرف أولا بالصورة على أنها إحدى ظواهر الطبيعة و هي إما حقيقة أو خيال , و قد وردت في لسان العرب على ظاهرها , و على معنى حقيقة الشيء و هي وهيئته , و على معنى صفته فيقال صورة الفعل كذا أي هيئته و صورة الامر كذا و كذا أي صفته.

و الصورة في الادب تستعمل عادة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي , و تطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات , و مدلول الصورة يشمل العبارة أي أسلوب ,و الخيال الذي يكون العاطفة يصورها و إذا أردنا تعريفا محددا للصورة الأدبية قلنا إنها "تجسيم لمنظر حسي او مشهد خيالي,يتخذ اللفظ أداة له,و هناك بالإضافة إلى التجسيم اللون و الظل او الإيحاء و الإطار و كلها عوامل لها يتمها في تشكيل الصورة و تقويمها"[1].

وارتبط مدلول الصورة بالتصور الذي هو استحضار صور المدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس,من غير تصرف فيها بزيادة او نقص او تغير او تبديل.

وبمعنى آخر هو مرور الفكر بالصور الطبيعية التي سبق أن شاهدها و انفعل بها ثم اختزنها في مخيلته و أداته هي الفكرة فقط,و التصوير هو إبراز هذه الصورة إلى الخارج بشكل فني.

و بمعنى آخر هو مرور الفكر بالصور الطبيعية التي سبق أن شاهدها و انفعل بها ثم اختزلها في مخيلته و أداته هي الفكرة فقط , و التصوير هو ابراز هذه الصورة إلى الخارج بشكل فني.

و التصوير هو التعبير بالصورة عن التجارب اللاشعورية التي مر بها الفنان بما أنه يمتاز عن غيره بتصور هذا الجمال الخفي و تكون اداته إما الألفاظ أو العبارات أو الريشة و الألوان ة لا يكون فنانا حتى يصور ذلك الجمال تصويرا فنيا و كل من أبدع في التصوير كان مبدعا في التصور[2] .

(1) صلاح عبد الفتاح,المرجع السابق ص 75

(2) المرجع نفسه ص 77,74

و التصوير هو التعبير بالصورة عن التجارب اللاشعورية التي مر بها الفنان بما أنه يمتاز عن غيره بتصور هذا الجمال الخفي و تكون اداته إما الألفاظ أو العبارات أو الريشة و الألوان ة لا يكون فنانا حتى يصور ذلك الجمال تصويرا فنيا و كل من أبدع في التصوير كان مبدعا في التصور[1] .

و طريقة التصوير لا تشمل الحجم الذي جاء في دراسة سيد قطب , و لكنها وردت في ألف و ثمانين آية (1080) أي بنسبة سبعة عشر في المئة.

و نجد أن التصوير في القرآن يقوم على التنويع في عرض المعاني , مرة يأتي التصوير بالتشبيه , و مرة بضرب الأمثال , و مرة أخرى بالمجاز و الكناية و مرة يأتي بالكلمة المفردة , و هو ما أبدع فيه القرآن الكريم و سما به على أنواع التعبير عند البشر و نورد أمثلة على كل نوع من هذه الانواع.

التصوير بالتشبيه:

ان الهدف من التشبيه هو التوضيح والتأثير,وذلك فان المتفنن يدك ما بين لأشياء من روابط يمكن ان يستعين بها من توضيح أفكاره وتشبيهات القرآن عديدة غرضها توضيح الحقائق أمام المخاطبين وتقريبها اليهم كانها اشياء محسوسة ملموسة,وفي القران الكريم امور معوية كثيرة يجسدها بصورة مرئية محسوسة مثل قوله تعالى:"مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الظلال البعيد"**(2)**.

فقد رسم المعنى المعقول وهو أعمال الكفرة يوم القيامة,في صورة محسوسة تتجلى في ذلك أعمال الكفار لا غناء فيها.

(1) صلاح عبد الفتاح,المرجع السابق ص 77,74

(2) سورة إبراهيم الآية 18

التصوير بالاستعارة:

ترد الاستعارة بكثرة في القرآن الكريم,حتى اننا نجد البلاغيون القدامى خصصوا لها دراسات عديدة وأورد لها أمثلة عديدة من القرآن الكريم وكلام البلغاء,وقد اعتبروها من الأساليب البليغة التي تصور المعاني في حيلة جميلة وقوالب محسوسة قريبة التناول ونضرب مثل على ذلك في قوله تعالى:"والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون "[1]

فقد استعار الاودية لفنون الشعراء ومقاصدهم الشعرية التي ينقلونها لاخيلتهم و يصوغونها بأفكارهم.

التصوير بضرب الأمثلة :

لقد ضرب القرآن الامثال في الكثير من القصص للتأثير والإقناع ومن امثلة ذلك قوله تعالى:"يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا و لو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنفذوا منه ضعف الطالب والمطلوب[2].

التصوير بالكلمة المفردة:

الجديد في لغة القرآن هو استعماله أرقى الالفاظ في التعبير وأقربها دلالة على المعنى,وقد حظيت لدى الدارسين بالنصيب الاوفر,من خلال دراساتهم الكثيرة,التي برهنت على فصاحة اللفظ القرآني ودقته ورونقه,لكن بعض الألفاظ في القرآن تنفرد بتصوير خاص للمعنى وهي خاصية جليلة للأسلوب القرآني الذي ارتفع الى ذروة البلاغة والإعجاز قال الله تعالى:"فكبكبوا فيها هم والغارون وجنود ابليس أجمعون[3],فلفظة **(كبكبوا)** ترسم صورة متخيلة فيها الحركة للفعل الذي وقع مع الكفار يوم القيامة

---

(1) سورة الشعراء الآية 226,224

(2) سورة الشعراء الاية 94

(3) سورة الشعراء الآية 95

ولتصوير الخصائص الاسلوبية لخصها الدارسون المحدثين فيما يلي:
وظف القرآن التصوير في القصص كأداة جمالية الغاية منه توسيع الحقائق الدينية في عقول الناس وهذا التعبير يحدث في النفس متعة فنية.

1. يعمل التصوير في النفوس على ارسال المعاني بشكل جميل,إضافة الى اعطائه المعاني الذهنية والأفكار المجردة الحياة والحركة,فتصير كأنها ملموسة مرئية.
2. يختص التصوير بالإيجاز و اختصار المسافات الواسعة.

ان الطريقة التي اتبعها القرآن الكريم في التعبير قد ابرزت جملة من الخصائص الجمالية والقيم المعنوية التي يدركها ويتذوقها كل من يعرف فنون القول في العربية,وعليه فكان استعماله للتصوير ضروريا لإبراز الغايات التأثيرية والإقناعية ,ولما كان احد الطرق في التعبير ولابراز المعنى في صورة حية متحركة مشبّعة بالضلال والألوان والحركة والحوار وقد اشار القرآن نفسه الى هذا التعدد في بعض آياته منها قوله تعالى:"وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَل وَكَانَ الانسَانُ أَكْثَرَ شَيْء جَدَلاً"[1]

(1) سورة الكهف الآية 54

الفصل الأول:

التصوير الفني في القرآن الكريم

- المبحث الأول : مفهوم التصوير الفني في القرآن الكريم .
- المبحث الثاني : مشاهد تصويرية في القرآن الكريـــــم .
- المبحث الثالث : سمات التصوير الفني في القرآن الكريم .

❖ مفهوم التصوير الفني:

أ- لغتـــا:

كما جاء في لسان العرب على صيغة الجمع (التصاوير والتماثيل بمعنى تصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي) [1] .

و التصوير هو ابراز هذه الصورة الى الخارج بشكل فنـي.

ب- اصطلاحـا:

التصوير والتعبير بالصورة عن التجارب الشعورية التي مر بها الفنان وهو التعبير الذي يرسم للمعنى صورة او ظلا لا يخاطب الذهن وحده بل يخاطب الحس والوجدان ويثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس [2].

جـ - في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم طريقة التصوير في التعبير وجعله الاداة المفضلة في أسلوبه فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة فهو تصوير باللون وبالحركة و بالتخيل كما انه تصوير بالنغمة التي تقوم مقام اللون في التمثيل وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور[3] .

---

(1) ابن منظور,لسان العرب مج بيروت الطبعة الاولى,تاريخ 1997 ص86

(2) صلاح عبد الفتاح الخالدي,نظرية التصوير الفني عند سيد قطب,دار الشهاب باتنة ط 1988ص77.

(3) المرجع نفسه

❖ مشاهد تصويرية من القرآن الكريم:

التصوير هو الاداة المفضلة في اسلوب القرآن الكريم فبواسطته تكون الصور البيانية التي تتجلى في نظمه البديع وأسلوبه الرفيع الذي يجعل الكلام اكثر رونقا وجمالا واثر هذا تعددت المشاهد التصويرية في القرآن لأنها تصوير حي معجز ترسمه الريشة القرآنية على شكل لمسات تصويرية مثل قوله تعالى : **" وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ "**

فهي إسناد بناء الصرح إلى هامان وزير فرعون فهنا يتبيـن المجاز العقلـي لعلاقــة السببية لأن هامان لم يبني صرحا لوحده وإنما عماله (بمساعدة عماله) ولكن هامان كان سببا في البناء فأسنـد له الفعل.

فالمجاز العقلي يكون في الاسناد او ما في معناه الى غير ما هو له ويسمى المجاز الحكمي أو الإسناد المجازي ولا يكون إلا في التركيب لقوله تعالـى : **" فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ "**

فذكـر لفظـة شهر تعبير على المجاز ولكن الذي يشاهد هو(الهلال الذي يظهـر أول ليلة في الشهـر فيعبر عنه وأطلق على الشهر مجاز مرسل لعلاقتـه السببيـة.

فالمجاز المرسل هو مجاز تكون العلاقة فيه غير مشابهة,مثل قوله تعالى:**"أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تجَارَتهُمْ "** [3] ففي الآية الكريمة استعارة تصريحية في لفظة (اشتروا) فقد أُستعير (الاشتراء) للاختيار بجامع احسن الفائدة , والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي هي لفظية وهي الضلالـة , وإذا تأملنـا هذه الاستعارة رأينـا أنه ذكـر معها شيء يلائم المشبه به (الاشتراء) وهذا الشيء هو (فما ربحت تجارتهم).

فالاستعارة التصريحية هي ما صرح فيه بـلفـظ المشبه به او أُستعيـر فيـها لفظ المشبـه به.

---

(1) سورة غافر الآية 35- 36
(2) سورة البقرة الآية 185
(3) سورة البقرة الآية 16.

. و قوله تعالـى " **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** " [1] ,ففي لفظة طغى

استعارة تصريحية تبعية فقد شبه فيها الزيادة بالطغيان بجامع تجاوز الحد في الكل ثم اشتق من الطغيان الفعل طغى بمعنى زاد على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية و القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هي لفظية و هي (الماء) [2] .

و هذا يسمى بالاستعارة المطلقة و هي ما حذف فيها المشبه به و المشبه و يذكر ما يلائمها معا و كذلك قوله تعالى " **وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ** " [3] فنرى انه شبه الغضب و إنسان ثم يجد المشبه به (الإنسان) و يرمز إليه بأحد لوازمه و هو سكت فتكوّن فيه الغضب فهذا يدعى بالاستعارة المكنيـة و هي ما حذف فيها المشبه به و المستعار منه و رمز له بأحـد لوازمـه.

و الكناية أيضا موضحة في الآيات الموالية مثل قوله تعالى" **فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** " [4] ,فالكناية في الآية الكريمة (يقلب كفيه) و الصفة التي تلزم تقليب الكفين هي الندم و الحزن فالمعنى الصريح هنا أصبح نادما حزينا و هذا امر معنوي تدخلت فيه الكناية فجسمته و أظهرته للعيان في صورة رجل اعتراه الذهول من هول ما أصاب الجنة التي كان يعتز بها , فالكناية عن الصفة هي التي تطلب بها نفس الصفة و المراد بالصفة هو الصفة المعنوية كالجود و الكرم و الشجاعة.....الـخ.

---

(1) سورة الحاقة الآية 11. ,

(2) عبد العزيز عتيق,علم البيان,دار النهضة العربية,بيروت,تخ 1958 ص 143.

(3) سورة الأعراف الآية 154. ,

(4) سورة الكهف الآية 42

وقوله تعالى : " **فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**" [1] , فهو يبين أن الموصوف أحق بالنبوة منه وان الله لو أراد أن يجعل في أحد من البشر لجعلها فيهم.

أما في قوله تعالى " **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ** ", فكنى بذلك عن النساء و الوصف الجامع بين المعنى الحقيقي و المجازي هو التأنيث , ولو ذلك لقيل في هذا الموضع أن هذا أخي له تسع و تسعون كبشا ولي كبش واحد,وقيل هذه كناية عن النساء و هذا يسمى كناية عن نسبة,و يراد بها إثبات أمر لام راو نفيه عنه أو بعبارة أخرى يطلب تخصيص الصفة بالموصوف [2] .

و قوله تعالى " **مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيد** " [3] فالأمور المعنوية هنا هي من أعمال الكفار المصورة في صور حسية مجسمة حيث تحولت إلى كومة رماد اشتدت به الرياح فذهبت بددا و الذي دل على أنه تجسيم في قبيل التشبيه و تمثيل أداة التشبيه مثل (الكاف).

(1) سورة هود الآية 27

(2) عبد العزيز عتيق,المرجع السابق

(3) سورة ابراهيم الآية 18.

و كذلك قوله في الآية الكريمة " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** " [1],شبه إنفـاق وابل رياء الناس بمثـل الصفوان و هو أمران:

الأمر الأول :

هو معنوي , الإنفاق رياء الناس تحول إلى أمر حسـي مجسم بالتشبيه و التمثيل و هو حجر أملس مغطى بطبقة من التراب فأصابه وابل من المطر فأخذ مكان يستره من التراب و تركه مكشوفـا بصلادتـه.

الأمر الثاني :

الصورة المقابلة و هي ما ينفق المال في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله و تثبيتا من أنفسهم كمثل حبة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل قط , الإنفـاق هنا تحول اختلف النية و الباعث إلى صورة مجسمة مختلف و هي الجنة برأس جبل يصبها وابل من المطر فتضاعف ثمرها فإن لم يكن هناك مطر فلا أقل من الندى يبللها في الصباح لتعطي ثمارا يانعة لذيذة [2].

---

(1) سورة البقرة الآية 264.

(2) صلاح عبد الفتاح الخالدي, نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.

ولقد تنوعت الآيات من هذا القبيـل في قوله تعالى : " **وَتَرَى الجبَالَ تَحْسَبُهَا جَامدَةً وَ هيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاب** " أي أنّ الجبال ترى يوم ينفخ في الصور تمرّ كمرّ السحاب أي تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح وهو التشبيه الذي حذف منه وجه الشبه و الأداة و يدعى البليغ , و هناك نوع من التشبيه يجب التطرق إليه لأنه لم يذكر إلا في القرآن الكريم وهو التشبيه الضمني و المتمثّل في قوله تعالى " **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لبَاسًا** " و شبّه اللّيـل باللباس لأن اللّيـل من شأنه أن يستـر الناس بعضهم بعضا لمن أراد هرب من عدو او الثبـات لعدو أو إخفاء ما لا يجب الإطلاع عليه من أمره فهذا تشبيه اختص بالقرآن دون غيره من الكلام المنثور و المنظور فهو تشبيـه لا يوضع فيه المشبـه و المشبـه به في صورة من صور التشبيـه المعروفـة بل يلمحان في التركيـب و هذا الضرب من التشبيـه يؤتى ليفيـد أن الحكـم الذي أسنـد إليـه المشبـه ممكـن كما هو موضـح في المثال الرّاهن [1] .

يظهر مما سبق أن اسلوب القرآن صوت و صورة وهذا الانسجام الهائل في آياته القرآنية هو الإعجاز الحق الذي تاه عنه الدارسون و تعللوا بالمجاز و الاستعارة و الكناية و التشبيه و لهذا كان القرآن الكريم يجمع في أسلوبه أرقى ما تحس به الفطرة اللّغوية من أوضاع البيان و أصناف الكلام و هذا الجمال الصوتي و التناسق هو أول شيء أحسّته الأذن العربية عند تلقيها القرآن الكريم ثم تليه الصورة البيانية التي جعلت الأسلوب يظهر في أبهى حلته و لـذا سمو التركيب و تصوير الإحساس اللغـوي بألوان من المجـاز و الاستعارة و الكنايـة و التشبيــه.

(1) عبد العزيز عتيق,مرجع سابق.

(2) صلاح عبد الفتاح الخالدي,مرجع سابق.

القرآن يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن مختلف الأغراض فيه و كذلك كان التخيل الحسي هو القاعدة الأولى التي تقوم عليها الصورة لأنها تدع الخيال يعمل في جزئياتها و يتخيلها على مختلف الأشكال كما تدع الحس يتحسسها و يتأثر بها ومن الأمثلة على التخيل الحسـي قوله تعالى **"إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ"** [1] فهذه الصورة تترك المستمع يرسم بخياله صورة متخيلة لتفتح أبواب السماء و ليس باب واحد و صورة وصورة متخيلة أخرى لولوج الجمل و هو الحيوان المعروف باسم الخياط و هو ثقب الإبرة و تدب الحركة في هذه الصورة التخيليـة بتخيل محاولات الجمل اليائسـة المتكررة حول ثقب الإبرة [2]

و لـه ألوان منحصرة في خمسة ألوان مطبقة بالأمثلة من آيات قرآنية تصويرية متمثلة فيما يلي :

1- التصوير عن طريق التخيل الشخصي:

كما عرفه سيد قطب أنه يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة و الظواهر الطبيعية و الانفعالات الوجدانية , هذه الحياة التي ترتقي فتصبح أدمية و خلجات انسانية فهو يتمثل في تصوير مظاهر الوجود و ظواهر الطبيعة على الشكل الحي و هذه الصفة الانسانية تثير في نفس القارئ أو المستمع الكثير من المعاني في الجمال و الانشراح اذ يأنس بمن حوله و يراهم شخوص تدب و تتحرك و يتخيلهم أناس حوله يتنفسون و يسيرون و يريدون و يتكلمون...
و هو لا يحس هذه الأحاسيس ولا يتخيل هذا التخيل لولا طريقة القرآن الفريدة في التعبير ، الطريقة التخيلية الشخصية التي حولت هذه المواد الظاهرة الطبيعية الى شخوص حية والتشخيص موجود بكثرة في الصور القرآنية منها قوله تعالى:" **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**" [3].

(1) سورة الاعراف الاية 40

(2) صلاح خالدي,نفس المرجع,ص 77

(3) سورة الفجر الاية 4.

فقد صور لنا الليل مخلوقا حيا يسري في الكون كأنه ساهر يجول في الظلام أو مسافر يختار السرى لرحلته البعيدة [1].

وهناك الكثير من الصور الفنية في القرآن الكريم ترسم عدة صور متحركة ترسم عدة صور متحركة لحالة من الحالات أو معنى من المعاني أو غرض من الأغراض ويذهب الحس والخيال مع هذه الحركات المصورة ولكن الريشة المصورة المعجزة لا ترسم هذه الحركات كلها دائما وإنما تبقى الحركة الأخيرة حيث يقف التعبير على الحركة التي قبلها وهنا يعمل حس القارئ وخيال عمله إذ يتخيل هذه الحركة ويتوقع حصولها في كل لحظة ويبقى نتائج هذا التوقع المتخيل ويتأمل ما فيها من جمال ويتذوق ما فيها من فـــن.

والأمثلة على هذا الون من التخيل كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : " **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**" [2] ،والتعبير القرآني يصور عبادة الله على طرف غير متمكن من العقيدة ولا مثبت في العبادة في حركـة جسديـة متأرجحة قابلـة للسقوط عند الدفعـة الأولـى ، وثم ينقلب على وجهه عنـد مس الفتنة ووقفته المتأرجحة تمهد من قبل لهذا الانقلاب [3] .

(1) سيد قطب,التصوير الفني في القرآن الكريم

(2) سورة الحج الاية 11

(3) سيد قطب,في ظلال القرآن,مج 4 ,دار الشروق,ط 21 , تخ 1993 ,ص 2412

و أحيانا يتم التعبير القرآني للحركة المتوقعة المتخيلة بعد أن يرسم الحركات التخيلية السابقة عليها كما في قوله تعالى:" **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** " [1] وقد صورت الآية الحس والخيال بنيانا شاهقا ولكن أسسه على حافة جرف هار والحركة الاخيرة مرسومة هنا **"أَنْهَار به في نَارُ جَهَنَّم"**

تتكون الصورة القرآنية من الفاظ تبنى عليها هذه الصورة او جزء من اجزائها وبعض الالفاظ تلقي في نفس القارئ وحسه وخياله حركة متخيلة وهذه الحركة لا ترد على الخيال لولاه إذ يكون في تركيب هذا اللفظ ودلالته ما يستدعيها وهذا يسمى بالتخيل الحركي المنشأ مثل قوله تعالى :**" قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** " [2] ،هناك حركة حسية متخيلة للإرتداد المعنوي عن الدين بارتداد قوم على أعقابهم ارتدادا حسّيا حيا متحركا متخيلا وما كان الخيال يتخيل هذه الحركة لولا هذه الكلمة (ونرد على أعقابنا) ومن هنا فالحركة المتخيلة ما كانت تثير في الخيال لولا لفظ المصور الذي ألقاها في النفس والخيال[3].

---

(1) سورة التوبة الآية –109 –

(2) سورة الأنعام الآية –71–

(3) سيد قطب في ظلال القرآن مج 2 ص 1131.

يترك التعبير القرآني عند رسمه للصور الفنية في مجال الخيال احيانا ليمثل حركات سريعة متتابعة متخيلة يكمل بها ملامح الصور ويتممها ومن قوله تعالى : " **حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**" [1]

و يتخيل صورة هوى هذا المشرك من السماء و يتابعه وهو يهوي في حركات سريعة متتابعة انه يهوي من شاهق (خرّ من السماء) ثم و في لمح البصر يتمزق (فتخطفه الطير) أو تقذفه الريح في هوى سحيقة بعيد عن الأنظار،فسرعة الحركة مع عنقها و تعاقب خطواتها في لفظ (الفاء) و في المنظر سرعة الاخفاء على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير.

فهي صورة صادقة لحال من يشرك باللّه فيهوى معنى أفق الايمان السابق الى حيث الفناء و الانطواء فيفقد القاعدة ثابتة يطمئن إليها و هي قاعدة التوحيد [2].

وآخر لون في التخيل هو أن التعبير القرآني ينبض بالحياة والحركة فما إن يمس الساكن أو ما انشاه السكون ،حتى تدب فيه الحياة فينبض حيا متحركا وتخيل هذا الشيء الساكن في الطبيعة حيا متحركا عن طريق الحس والخيال يملا النفس شعورا بالجمال مثل قوله تعالى : " **وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**" [3] ،وهو تعبير يرسم مشهد التفجير في الأرض الساكنة الهامدة التي انبعثت فيها الحياة والحركة,وإذا بها تتفجر كلها عيونا تجري لتلتقي مع الماء المنهمر النازل من السماء وهذا يسمى التخيل الحركي الساكن [4].

---

(1) سورة الحج الآية-31-

(2) سيد قطب في ظلال القرآن مج 4 ص 2421.

(3) سورة القمر الاية 12

(4) سيد قطب,في ظلال القرآن,مج 6 ص 30-34

والسمة الثانية للتصوير الفني تسمى التجسيم الفني ويعود الفضل في اكتشافه لسيد قطب حيث جعله خاصة ثانية من خصائص التصوير وكان يقصد بها المعنى الفني وهو تجسيم المعنويات المجردة وإبرازها في اجسام محسوسة وهو نوعان:

2- التجسيم من قبيل التشبيه :

الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس مجسم على وجه التشبيه التمثيل و هو كثير الوقوع في الآيات التصويرية في القرآن الكريم و منه كل التشبيهات الفنية القرآنية التي جاء بها لا حالة المعاني و الحالات صورّا و هيئات قال تعالى : **" مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَـاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ "** [1],صورت لنا هذه الآية لعدم انتفاعهم بما في التورية قطيعا من الحمير تسير وهي تحمل على ظهورها كتب العلوم و هي لا تنتفع بها و لا تدري ما بداخلها و هي صورة حركية يعنينا منها هنا التجسيم بالتشبيه و التمثيل و أن عدم التزامهم بتعاليم التوراة هو أمر معنوي تشبه بشيء حسي مجسم و هو حمار يحمل كتبا و أداة التشبيه (الكاف) [2].

الأمر المعنوي المجرد هنا صار صورة حسية مجسمة و تعود الى هذه الصورة بالتخيل الحسي و لأمثلة على ذلك متنوعة في القرآن الكريم منها قوله تعالى" **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ"** [3].

فالعمل هنا صار صورة مجسمة و مادة محسوسة فهو اذا كان خيرا يحضر و يهيأ بانتظار صاحبه يتمنى ان تفصله عنه الفواصل حتى لا يراه أو يقترب منه [4].

(1) سورة الجمعة الآية 5

(2) التصوير الفني لسيد قطب.

(3) سورة آل عمران الآية "30 ".

(4) سيد قطب التصوير الفني.

ولهذا النوع من التجسيم ألوان نأخذ اثنين على سبيل المثال:

❖ تجسيم الحالات العقلية المعنوية :

مثل قوله تعالى:" **إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨)وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ** "[1], فأيديهم مشدودة بالأغلال على أعناقهم موضوعة تحت أذقانهم وذلك فإن رؤوسهم مرفوعة فسرّا لا يملكون ان ينظروا بها الى الأمام وهنا فهم غير أحرار في النظر و الرؤية و هذا ما حال بينهم و بين الهدى و الحق بسد من أمامهم و سد من خلفهم,و الصورة الفنية تضع هنا حواجز مادية مجسمة محسوسة [2] وهذا يدعى تجسيم الحالات العقلية المعنوية لقوله تعالى:" **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ** " [3] فالقلوب في هذه الصورة لها حركة محسوسة مجسمة,فهي تنتقل من أمكنتها المخصصة لها , و تفارق مواضعها المعهودة إلى ان تبلغ الحناجر,و تصل إليها وهي لم تنتقل إلا من شدة الضيق و الضجر (كاظمين) .

وهذا تجسيم للحالات العقلية المعنوية و مثل قوله تعالى " **وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**" [4] وهي صورة حسية مجسمة للظلام النفسي و الكدرة التي تغش وجه المكروب المأخوذ المرعوب كأنما اخذ من الليل المظلم فقطع رقعا غشيت بها هذه الوجوه و هكذا يغش الجو كله ظلام من ظلام الليل المظلم و رهبة من رهبته تبدوا فيه و آخر نوع مجسد في قوله تعالى: "ان سنلقي عليك قولا ثقيل " [5].

---

(1) سورة يس الآية 8-9.

(2) صلاح عبد الفتاح خالدي,المرجع نفسه.

(3) سورة غافر الآية18 .

(4) سورة يونس الآية 27

(5) سورة ابراهيم الآية 17

فالقول صار شيئا له وزن ثقيل وهذا وصف لأمر معنوي بشيء محسوس مجسم,و كثيرا ما يجتمع التخيل و التجسيم في المثال الواحد من القرآن فيصور المعنوي المجرد مجسما محسوسا و يخيل حركة لهذا الجسم[1] أو حوله من اشعاع التعبير و في هذه الحالة يبدأ التجسم أولا ثم يتبعه التخيل و من الامثلة على ذلك قوله تعالى" **ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**" [2] السكينة هنا مجسمة فهي مادة مثبتة و لها حركة تخيلية حسية فهي تنزل على المؤمنين.

و سنختم سمات التصوير الفني في القرآن الكريم بالسمة الثالثة التي تحدث عنها سيد قطب و هي (التناسق الفني)و اعتبرها قمما متدرجة شامخة و ألوانا جذابة و آفاقا معجزة في التناسق الفني المعجز في الصورة القرآنية و هذا يدل على أن القرآن الكريم كتاب معجز في تصويره الفني.

وهناك ثمانية آفاق لهذا التناسق الفني و هناك ثمانية آفاق في التناسق الفني ملخصة كما يلي:

ففي التصوير الفني في القرآن الكريم توجد مواضع في الآيات القرآنية يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها فيساعد على اكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية و هذه خطوة مشتركة التعبير للتعبير و التعبير للتصوير مثل قوله تعالى :" **إنّ شَرّ الدوابْ عندَ اللّه الصُمُ البُكمْ الّذينَ لاَ يَعقلُونْ** "[3], فكلمة (الدواب) متناسقة مع الحالة المصورة هنا حالة الكفار بعدم انتفاعهم بالهدى جاءهم لأنهم صم بكم كحالة الدواب من الحيوانات الصم البكم التي لا تنطق و لا تغفل و كل هذا يسمى بتناسق التعبير مع المضمون.

---

(1) المرجع نفسه

(2) سورة التوبة الآية 26

(3) سورة غافر الاية 22

و الأفق الثاني متمثل في استقلال اللفظ برسم الصورة و هذا اللون أرقى من اللون السابق من ألوان الاعجاز و هو أن يستقل لفظ واحد لا عبارة كاملة برسم صورة شاخصة لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم الصورة فكثيرا ما تشرك عدة الفاظ في العبارة في رسم الصورة الفنية القرآنية بحيث يكون كل واحد منها جزءا من الصورة أو مساعدا على اكمال معالمها و في هذه الحالة تكون الصورة قد رسمت بالعبارة كاملة و هذا اللون من التناسق لم يعرف في غير التعبير القرآني اذ لم يستطع أي أديب فنان أن يرسم صورة فنية شاخصة متناسقة بلفظ واحد و أمثلة ذلك في ما يلي:" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ** " [1].

وقوله تعالى : " **وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا** " [2] ، وقوله تعالى : " **يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا** " [3] ، وقوله تعالى : " **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** " [4].

(1) سورة التوبة الآية 38.
(2) سورة النساء الآية 72.
(3) سورة الطور الآية 13 .
(4) سورة الأعراف الآية 175.

الأفق الثالث متمثل في التقابل بين صورتين حاضرتين,و التقابل طريقة من طرق التصوير القرآني استخدمه القرآن لتنسيق صوره التي يرسمها بالألفاظ حيث ينسق بين هذه الصورة بفعل المقابلات الدقيقة بينها و من الأمثلة على تقابل الصورتين الحاضرتين قوله تعالى : " **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ** " [1] الصورتان السريعتان للبث والجمع و التعبير يقابل بين مشهد البث و الجمع في لمحة على طريقة القرآن.

الأفق الرابع متمثل في التقابل بين صورتين حاضرة و ماضية,و استحضار صورة حاضرة الآن و الاخرى ماضية في زمان حيث يعمل الخيال على استحضار هذه الأخيرة ليقابلها بالصورة المنظورة و هذا اللون من التقابل بين الصور الموجودة بوفرة بالقرآن و من ذلك قوله تعالى :" **وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١)فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢)وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣)لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٤٤)إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥)** " [2] الصورة الحاضرة هنا هي صورة اصحاب الشمال في نار جهنم في السموم و الحميم و الظل من يحموم تقابلها الصورة الماضية لأصحاب الشمال عندما كانوا في الدنيا,حيث كانوا مترفين وما ألم العذاب والشظف للمترفين.

(1) سورة الشورى الاية 29

(2) سورة الواقعة الآية 41-45

الأفق الخامس متمثل في تناسق الإيقاع الموسيقي في الصورة وهذا النوع من الأفق له ثلاث ألوان,أن يكون ايقاعا ناتجا عن فواصل متساوية في الوزن تقريبا متحدة في حرف التقفية تما مادات ايقاع موسيقى متحد و يكون اختيار الالفاظ تبعا لهذا الايقاع بحيث اذا حذف لفظ منها أخلت القافية و تأثر الايقاع مثل قوله تعالى:" **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١)مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢)وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣)إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى (٤)**[1],و ان يعدل في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة الى صورة خاصة أي مراعاة للإيقاع الموسيقي للآيات مثل قوله تعالى : " **وَالْفَجْرِ (١)وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣)وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ** "[2], فحد فتياء (يسرى) الأصلية قصد للانسجام مع الفواصل (الفجر,عشر,الوتر,حجر) وان يبين النسق على انه يختل اذا قدمت او أخرت فيه أو عدلت في النظم أي التعديل وفي هذه الحالة تلحظ الموسيقى الكامنة في النسق القرآني لحاسة خفية و هبة لدنية مباشرة تلحظ و تتذوق مثل قوله تعالى : " **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** "[3] ,فلو حاولت مثل ان تغير فقط وضع كلمة (من) فتجعلها سابقة لكلمة (العظم):قَالَ رَبِي أني وَهَنَ العَظمُ لأَحْسَسْتُ بِماَ يشبه "وهن العظم مني" فالموسيقى الداخلية موجودة في التعبير القرآني,موزونة بميزات شديدة الحساسية تمليه أدق الحركات و الاهتزازات و الصورة الفنية في القرآن الكريم مرسومة بتناسق فني ساحر حيث توفر لها أدق مظاهر التناسق الفني و هذا دليل على سمو الإعجاز الفني و من الأمثلة و المشاهد القرآنية قوله تعالى:" **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** "[4]

.

(1) سورة النجم الاية 1-4

(2) سورة الفجر الاية 1-5

(3) سورة مريم الاية 2-4

(4) سورة الفلق الاية 1-5

فالجو العام المراد إطلاقه في السورة هو التعويذات بما فيها من خفاء و هيمنة و غموض و قد جاء التناسق بين جزئيات , سورة فيها بينما وفي توزيعها على الرقعة المرسومة عليها و هذا يدخل في التناسق في رسم الصورة و كذلك التناسق متوفر في إطار رسم الصورة و أكثر ما يوجد هذا في قصار السورة القرآن الكريم حيث يوضع الإطار العام للصورة ومن الأمثلة على ذلك سورة الضحى,فالجو العام لها هو الحنان و الرضاء الشامل و هذا الجو يسرب من خلال ألفاظ و عبارات السورة من الموسيقى السارية في التعبير مثل قوله تعالى:" **وَالضُّحَى (١)وَاللَّيْلِ إِذا سَجَى.....(٢)**" [1].

و الأفق الأخير من أفاق التناسق في الصورة والمشاهد القرآنية التي لا تفرض حذف و إنما وفق الأساس في التناسق فالمدة المقررة لبقاء المشاهد معروضة على الأنظار في الخيال تتبع التناسق الفني في القرآن ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى :" **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا** " [2],فهذا المشهد يعرض قصيرا خاطف ليلقي في النفس ظل الفناء و الزوال فالماء ينزل من السماء فلا يجري و لا يسيل و لكن يختلط به نبات الأرض و النبات لا ينمو و لا ينضج ولكنه يصبح هشيما تذروه الرياح و مابين ثلاث جمل قصار ينتهي شريط الحياة وهنا التناسق متمثل في مدة العرض.

---

(1) سورة الضحى الآية 1-2.

(2) سورة الكهف الآية 45.

المبحث الأول :

ماهية السورة المباركة

- تعريفها .
- مناسبة نزولها .
- فضلها .
- الحكمة من عدم تكرارها في القرآن الكريم .

❖ ماهية السورة:

سميت بسورة يوسف لأنها ذكرت قصة نبي الله يوسف كاملة دون غيرها من سور القرآن الكريم وهذا هو السبب الرئيسي لتسميتها بهذا الاسم.

❖ التعريف بالسورة:

هي سورة مكية ما عدا الآيات [7,3,2,1] فمدنية وعدد اياتها مئة وإحدى عشرة آية وهي السورة الثانية في ترتيب المصحف وسورة هود عليه السلام نزلت بعد هذه السورة ، بدأت السورة بحروف متقطعة (الر) ذكر اسم نبي الله يوسف اكثر من خمسة وعشرون مرة في الجزء الثالث عشر والحزب الخامس وعشرون والرابع وعشرون الربع الأول والثاني والثالث [1].

❖ مناسبة نزول هذه السورة :

عن مصعب بن سعد عن ابيه سعد بن ابي وقاص في قوله عز وجل:" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ " قال : **" أنزل القرآن على رسول الله فتلاه عليهم زمانا "** فقالو:**"يا رَسُولَ الله فَتلاَهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا "** فقالوا:**"يَا رَسُولَ الله لَو قصَصْتَ "** فانزل الله تعالى :**" الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ "** إلى قوله تعالى: **" نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ....** " فتلاه عليهم زمانا فقالوا : يَا رَسُولَ الله لَو حَدّثْنَاَ فانزل الله تعالى : **" الله نَزّلَ اَحسَنَ الحَديث كتابا مُتَشَابهًا "** قال : **" كُل ذَلكَ ليُؤْمنُوا بالقُرآن "**.

---

(1) مجمع البيان في تفسير القرآن لشيخ ابو علي الفضل الحسن الطبريسي مج 4 ج 13 طج بيروت لبنان منشورات دار مكتبة الحياة.

قال عون بن عبد الله من اصحاب رسول الله فقالوا:يا رسول الله حدثنا فانزل الله تعالى:"**الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا**" قال:ثم إنهم ملُّوا ملّة أخرى فقالوا:يا رسول الله فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص فأنزل الله تعالى "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ " [1].

❖ فضل السورة:

عن مصعب بن عمير لما قدم المدينة يعلم الناس القرآن بعث اليهم عمرو بن الجموح ما هذا الذي جئتمونا به؟فقالوا:ان شئت جئناك فأسمعناك القرآن,قال:نعم فواعدهم يوما فجاء فقرأ عليه القرآن"الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ "عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال:سمعت عمر عنه يقرأ في الفجر بسورة يوسف,سورة يوسف ومريم مما يتفكه بهما اهل الجنة:قال خالد بن معدان في الجنة ،قال عطاء:لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها[2].

(1) اسباب النزول لشيخ الامام ابي الحسين علي بن احمد الواحدي ص 115 ط الشعبية للجيش تيبازة

(2) مجمع البيان في تفسير القرآن لطبريسي

❖ الحكمة من عدم تكرار قصة يوسف في القرآن الكريم:

من المعروف عن سمات القصص القرآني ظاهرة التكرار , وهو ان تتكرر القصة في أكثر من موضع من القرآن , كما في قصة موسى عليه السلام , وقصة نوح عليه السلام وغيرهم من الانبياء,ولكن نجد ان قصة يوسف عليه السلام لم تتكرر في اي موضع من القرآن فقد جاءت في موضع واحد,وهنا يطرح السؤال نفسه,فالحكمة في عدم تكرار قصة يوسف عليه السلام,وسوقها مساقا واحدا في موضع واحد دون غيرها من القصص؟ والحكمة في عدم تكرارها كما يراها بعض علمائنا الاجلاء تتجلى فيما يلي:

فيها من تشبيب لنسوة بيوسف عليه السلام,وتضمنها أخبارا عن حال امراة ونسوة افتتنت بأروع الناس جمالا وأرفعهم منالا ، فناسب عدم تكرار ما فيها من الإغناء والستر عن ذلك,ولأنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة,بخلاف غيرها من القصص فان مالها الى الوبال كقصة نوح وهود وقوم صالح عليهم السلام وغيرهم,فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها بخروجها عن سمات القصص[1].

(1) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني بيروت دار القرآن الكريم ص 52.

وفي عدم تكرارها اشارة اذ عجز العرب,كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم من تلقاء نفسي تصديره على الفصاحة فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الانبياء ,وثمة امر آخر وهو ان سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة ان يقص عليهم فقد روي الواحدي والطبري يزيد أحدهما على الاخر عن سعد بن ابي وقاص انه قال:"انزل القرآن فتلاه رسول الله عليه الصلاة والسلام على اصحابه زمانا.....فقالوا اي المسلمون بمكة,يا رسول الله لو قصصت علينا ,فانزل الله : "الٓرٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ " [1] فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويج النفوس بها ،و الإحاطة بطرفيها ،لعبرها ودلالتها.

وأقوى ما يجاب به قصص الأنبياء عليهم السلام تكررت لأن المقصود بها إفادة اهلاك من كذبوا رسلهم وآذوهم ،والمواقف التي يعيشها النبي تستدعي ذلك التكرار,ذلك لتكرار تكذيب الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما كذبوا انزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين ولهذا قال تعالى : **" قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَف وَإِنْ يَعُودُوا فَقَد مَضَت سَنَةُ الأَوَّلِين "** [2].

---

(1) سورة يوسف الاية من 1 الى 3

(2) الاتقان في علوم القرآن السيوطي القاهرة,مطبعة مصطفى البابي 1851/2

❖ محور مواضيع السورة:

سورة يوسف احدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء وقد افردت الحديث عن قصة نبي الله "يؤسف بن يعقوب"وما لاقاه عليه السلام من انواع البلاد,ومن ضروب المحن والشدائد,من اخوته ومن الاخرين في بيت عزيز مصر,وفي السجن وفي تآمر النسوة,حتى ناجاه الله من ذلك الضيق والمقصود بها تملية النبي صلى الله عليه وسلم بما مر عليه من الكرب والشدة وما لاقاه من أذى القريب والبعيد,وجاءت في اسلوب فريد في الفاظها وتعبيرها ، وأدائها ، وفي قصصها الممتع اللطيف تسرى مع النفس سريان الدم في العروق وتجري قي سلامتها وبرقتها,في القلب جريان الروح في الجسد فهي وان كانت من السورة المكية ، التي تحمل في الغالب طابع الانذار والتهديد إلا انها اختلفت عنها في هذا الميدان,فجاءت طرية ندية في اسلوب ممتع لطيف سلس رقيق يحمل جوا الانس والرحمة والرأفة والحنان ولهذا قال خالد بن معدان."سورة يوسف ومريم مما يتفكه بها اهل الجنة في الجنة وقال عطاء : "لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح اليها " [1]

❖ شخصيات القصة:

تتكون القصة من عدة جزئيات من القصص المكونة للبناء التام لقصة يوسف عليه السلام وهذه الجزئيات التي تشكلها شخصيات القصة بها انماطا مختلفة من النفس البشرية,على مختلف الرتب والطبقات الاجتماعية والحياة الدينية والنزعات المختلفة,فكل الشخصيات الاخرى ماسورة بفكرة معينة او بحالة نفسية منفردة.

1. يوسف عليه السلام:

ان شخصية يوسف عليه السلام هي الشخصية المحورية بالقصة وهي التي تدور حولها كل القصص المكونة لقصة يوسف عليه السلام.

---

(1) مجمع البيان في تفسير القرآن شيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي مج 4 ج 13 ط ج بيروت لبنان

2. **يعقوب عليه السلام:**

هو ذلك الانسان الحكيم الذي يمتلك بعد النظر ويستطيع ان يقرأ او يستشعر ما سيحدث,قال الله تعالى:"قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون"فحالته النفسية التي تتسم بالخوف على يوسف عليه السلام من ان يكيد له اخوته دعته لتحذيره منهم وان يكتم رؤياه عنهم قال تعالى:"قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للإنسان عدو مبين"

3. **اخوة يوسف عليه السلام:**

هم اخوة اخذت الغيرة منهم مأخذا كبيرا فغمر الحمد قلوبهم فعملوا على تغيب اخيهم بالكيد له ورميه بالجب.

4. **امرأة العزيز:**

امرأة افتتنت همها اشباع رغباتها,وفي النهاية تعود وتشهد لصالحه بعد سجنه.

5. **الملك:**

تتحكم به فكرة الصراع,والاهتمام بشؤون دولته,لقد ظهرت في رؤياه السنابل والبقرات التي هي رمز للاقتصاد [1] .

6. **السيارة "البدو":**

هم مجموعة من البدو,حصلوا على غنيمة وأرادوا بيعها للحصول على المال.

7. **الفتيان:**

هما صاحباه في السجن,وهما يمثلان الحياة اليومية,فاحدهما بائع للخبز والأخر عاصر للخمر.

(1) يوسف في القران لأحمد ماهر محمود بقري دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ب 749-11

8. **النسوة:**

هن نسوة بالمدينة يثرن الاشاعات على امرأة العزيز.

9. **الشاهد:**

وهو الشاهد الذي اشار الى القميص وموضع قدّه,ومن القبل او الدبر.

ونعود لشخصية يوسف عليه السلام,فهي الشخصية المحورية,فقد كان دوره تحرير الانسان من الفكرة المسيطرة عليه وهو يقف في وجه الحسد ودوافعه ويواجه الدعوة لإشباع الشهوات خارج النظام الاخلاقي والاجتماعي وهو يوجه الملك الى نظام اقتصادي بديع وعمل على الدعوة له عز وجل ودعا لتحرير الانسان من نوازعه الذاتية الضيقة.

❖ بعض الدلالات النفسيه في قصة يوسف "عليه السلام:

إن قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم هي قصته الشخصية والأحداث معا,فهي لا تسجل واقعا فحسب,بل تنتصر للقيم الانسانية الجديرة بالخلود,انها تنتصر للإيمان وللصبر وللعفاف والأمانة وللإخلاص والطهر وقد قام بالأدوار فيها شخصيات متباينة في السن وفي المكانة الاجتماعية,ولكل منها طابعها الخاص وفق التربية والتجارب التي مرت بكل منها كالبراءة والحكمة والحسد [1].

(1) يوسف في القرآن لأحمد ماهر محمود البقري

إن المتمعّن في القصة من القرآن يلتمس شحنات نفسية من أبطال القصة و من بعض كلماتها و إشاراتها فكلمة " الصبر" مثلا تجدها حاضرة دائما على لسان يعقوب عليه السلام و توكيد الإيمان على لسان إخوته ، و لو نظرنا من منظور علم النفس لوجدنا سلوكا متباينا في شخصياتها , كالتبرير و الإسقاط و الكذب و الغيرة و القلق و الإحساس بالذنب , و نحو ذلك من الحيل النفسية اللاشعورية التي يلجأ لها الإنسان في معاملته النفسية و التي يسميها علم النفس "آليات عقلية " يغالب بها المرء احباطه و قلقه و توتره الناشئ عن فشله و هو يحاول تحقيق رغباته ،فأخوه يوسف عليه السلام مثلوا ضحايا الكيب الذي عاشوه ،كي يخفوا رغبتهم في التخلص من أخيهم يوسف حتى يخلو لهم حب أبيهم , و لكنهم يفشلون في إخفاء و كبت هذه الرغبة بل كثيرا ما تبدوا فيما يصدر عنهم من تصرفات و مواقف و كلمات ضد يوسف ،مما جعل يعقوب عليه السلام يشك في حسن نواياهم عندما دعوا يوسف إلى يلعب معهم , فقال لهم " قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ " [1].

(1) سورة يوسف الاية 13

و كان من نتيجة هذا الكبت و و معاناته ان انحرفوا بتفكيرهم فكل ما يهمهم تحقيقه هو أن يحولوا بين يوسف و أبيه , فكان اتفاقهم على قتله, و تلطيخ قميصه بالدم ادعاء أن الذئب أكله كله لما ذهبوا يتسابقون و تركوه عند متاعهم غير أن التلفيق كان واضحا. لأن القميص لم يكن ممزقا بآثار أسنان الذئب. مما جعل يعقوب عليه السلام لا يصدقهم , و لو أنه صدقهم في دعواهم لما أصر على أن يقتفوا آثاره , و قد وقعوا في حالة التبرير كما يفعل المذنب إذ يعمل تفسير سلوكه, ليبين سلوكه لنفسه و للناس أن لسلوكه هذا أسبابا معقولة , فهم يقولون " قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾

❖ مستويات قصة يوسف عليه السلام :

تعد قصة يوسف من القصص الطوال و قد تشكلت بنيتها من خلال عدة أمور تشابكت فيما بينها مكونة قصة من أروع القصص و أحسنها قال تعالى "نحن نقص عليك أحسن القصص" و تختلف هذه الأمور و تتباين فيما بينها فبعضها يخص البناء الزماني و بعضها البناء المكاني و بعضها بناء الشخصيات تتكاثف هذه الأبنية و يظهر من خلالها مستويات عدة تتناول في هذا البسط ثلاث مستويات هي: مستوى الرؤيا,مستوى الحيلة,مستوى الرمز [1]

(1) قصة يوسف لعبد القادر الحسين ط 1 (1410-1944م)القاهرة .

1) مستوى الرؤيا:

و هوالذي بدأت به القصة عموما,قال تعالى: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ و ينقسم هذا المستوى إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى- رؤيا يوسف علية السلام:

و هي التي قصها على أبيه حيث قال:"إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ [1] و قد ظهر لأبيه منها أنه سوف ينزله الله منزلا مباركا و سوف يؤتيه الحكمة و يجعله نبيا فخشي عليه من إخوته فأمره أن لا يحدث بها إخوته خوفا أن يكيدوا له و يؤذوه و تمثل هذه الرؤيا مسارا سارت على خطوطه أحداث القصة على مختلف أماكنها و أزمانها لتلتقي في نهايتها بالتأويل فقد جعلها الله حقا قال تعالى:"و رفع أبويه على العرش و خروا له سجدا و قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا و قد أحسن اذ أخرجني من السجن و جاء بكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بيني و بين إخوتي أن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم"[2]

المرحلة الثانية - رؤيا فتى السجن الأول:

حين دخل عليه السلام السجن صاحب ذلك أن دخل معه فتيان و رأى كل منهما رؤيا قال تعالى:"ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا"[3] فعبر عليه السلام رؤيا الفتى بأنه سيسقي ربه خمرا و ربه أي سيده,قال تعالى:"يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۝٤١ [4] .

---

(1) سورة يوسف الاية 4

(2) سورة يوسف الآية 100

(3) سورة يوسف الآية 36

(4) سورة يوسف الاية 41

المرحلة الثالثة - رؤيا فتى السجن الثاني:

رؤيا فتى السجن الثاني:هو الفتى الذي دخل معه السجن و قص عليه رؤياه التي كان تعبيرها له وقع كبير على النفس البشرية

قال تعالى " **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** "[1] و لو نظرنا إلى القصة من جهة الدعوة لله نرى أنه عليه السلام لم يترك فرصة إلا واستغلها في الدعوة إلى الله عز و جل فنراه و هو في سجنه يدعوا لله فعندما طلب منه تعبيرا لرؤيا لم يعبرها لهم مباشرة و نستطيع ان نلمس اصغاءهم إليه و استفادته من هذا الإصغاء في الدعوة قال تعالى:" **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧)وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٣٨)يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩)مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٤٠)يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)** "[2].

---

(1) سورة يوسف الآية 41

(2) سورة يوسف الآية 36-41

المرحلة الرابعة (رؤيا الملك) :

رأى الملك رؤيا سعى لتعبيرها قال تعالى : **" وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ "**[1] ومن خلال رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الفتيين بالسجن ورؤيا الملك تتجلى في صورة مرئية من الكواكب الساجدة والشمس والقمر الى الخمر المعصورة إلى الخبز المحمول إلى الطيور الأكلة من راس الفتى إلى البقرات التي تأكل مثيلاتها الهزيلات والسنابل الخضر واليابسات فكل هذه الصور تكاد تراها بعينيك رؤيا العين ذلك راجع لقوة التعبير البلاغي الذي يمتاز به النظم القرآني,فشخصيات القصة (يوسف - يعقوب - اخوته - الملك - فتيا السجن) هي صور مختلفة للجنس البشري تتباين وتختلف في مستويات مختلفة سواء كانت هذه المستويات اجتماعية أو دينية أو ثقافية أو طبقية تتفاعل فيما بينها متممة البناء والشكل النهائي للقصة ، ويظهر المكان كعنصر متغير في ثنايا القصة والرؤى التي تتضمنها فالمكان في الرؤيا الاولى هو الكون الذي سجدت فيه الكواكب والشمس والقمر،أما في الرؤية الثانية فالمكان هو الوظيفة اليومية والرؤيا الثالثة مكانها الحياة اليومية لخباز من خلال حمله للخبز على رأسه والسير به اما الرؤيا الرابعة فمكانها هو الدولة فالسنابل والبقر تمثلان رمز الثورة الوطنية أي مصدر الرزق والحياة ويتطور الزمن في القصة من خلال نمو يوسف عليه السلام والمحيطين بيوسف طفلا ويوسف شابا ثم بلوغه الرشد,قال تعالى : " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ "[2].

(1) سورة يوسف الاية43

(2) سورة يوسف الاية 22

ويتفاعل الحدث من خلال تفجر عناصر الحياة التي تتضمنها الرؤيا من خلال دلالتها المتعددة فالرؤيا هي التي تحرك الشخصيات والمواقف فرؤيا يوسف عليه السلام أيقظت هواجس يعقوب وخوفه على يوسف عليه السلام فدفعته لتحذيره من اخوته هذا التحذير والخوف مبعثه شعوره بما يكنه له أخوته من كيد وحسد وبالتالي تغذي حسد الاخوة فلجاوا الى تغيب يوسف عليه السلام اما الساقي فتأويل يوسف رؤيا له انجاه من السجن ومن التهمة التي الصقت به ومهد تأويله لرؤيا الملك لعودته الى العائلة وكشف المؤامرة الاولى ومن ثم تحققت الرؤيا الاولى.

2) مستوى الحيلة:

ثمة اربع حيل تنتمي الى مراحل القصة المتعاقبة المكونة لبنيتها غير انها تختلف من حيث دوافعها السلبية والايجابية وهي كالتالي:

أ. حيلة اخوة يوسف:

ويتمثل موضوعها في التغيب الكامل لوجود يوسف عليه السلام,سواء الوجود المادي الاجتماعي والدافع لها كما مر بنا هو الاب ليوسف,قال الله تعالى:"إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ " [1] وبدأت الحيلة باستدراج يوسف عليه السلام وهو العزل بعد أخذ الاذن من ابيه قال تعالى : " قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ " [2] وقد استعملوا الكذب على ابيهم ثم نفذوا الحيلة برميه في البئر.

---

(1) سورة يوسف الاية 8 .

(2) يسورة يوسف الاية 11-12.

ب. حيلة امرأة العزيز الاولى:

والدافع إليها هو حبها له وشغفها به قال تعالى:"وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ "[1]

ج. حيلة امرأة العزيز الثانية:

وهي حيلتها على نساء المدينة ودافعها هو الاقتصاص من تلك النسوة اللاتي اطلقن الشائعات في المدينة حولها قال تعالى:"۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ " [2] واحتالت بان اعدت لهن متكأ وأعطت كل واحدة منهن سكينا و امرته بالخروج فلما رأينه قطعن ايديهن بلا شعور وقلن "ما هذا بشرا"وهذا ما تصبوا امراة العزيز اليه,لتوسيع فعلتها فقالت "ان هذا هو الذي لمتنني فيه,فكشفت عن سبب موقفها من يوسف,مغيبة مكانته " كابن " ومظهرة مكانته كرجل قال تعالى : " فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ " [3]

---

(1) سورة يوسف الآية 23.

(2) سورة يوسف الآية 30.

(3) سورة يوسف الآية 31.

د. حيلة يوسف عليه السلام:

وهي حيلة ايجابية وموضوعها اعادة الحق الى نصابه وتحقيق العدالة والمستهدف من هذه الحيلة هم اخوة يوسف عليه السلام فقد استدرجهم وطلب منهم ان ياتوا باخ لهم من أبيهم ،ولما اتوا به جعل برحله صواع الملك متهما اياهم بالسرقة قال تعالى :"فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ" (1)

لوصوله الى الهدف الذي هو اجتماع الاسرة والتمام الشمل,بعد كشف حيلتهم الاولى'قال تعالى:" ..... ۖ قَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ"(2)

3) مستوى الرمز:

شكل القميص رمزا دلاليا بعيد الدلالة'فقد شكل نقاط تحول بالقصة كاملة,وتكرر في ثلاث قصص جزئية من قصة يوسف,من رؤياه الاولى الى تحققها بسجود ابويه له,وسوف نتتبع المواقف التي ظهر بها القميص.

المستوى الأول:

في المؤامرة التي حاكها اخوته ضده وهي رميه بالجب وعودتهم الى ابيهم يحملون قميصه،وعليه دم كذب ، فالقميص الملطخ بالدم هو كل ما تبقى من يوسف الغائب ، لذا حمل في هذا الموقف " رمز الغياب " وربما حمل دلالة الاحتيال و الكذب ، فقد استخدم هذا القميص الملطخ بالدم الكذب في الدلالة على الكذب.

---

(1) سورة يوسف الاية 70.

(2) سورة يوسف الاية 100.

المستوى الثاني:

وذلك حينما حاولت امراة العزيز الدفاع عن نفسها,وصرف التهمة عنها بادعائها أن يوسف هو المدان بإرادته السوء بها,ولثبوت البراءة شهد شاهد من اهلها بان قميصه اذ قدّ من الامام فهي صادقة,وهو كاذب ،وان كان قميصه قدّ الخلف فانه صادق وهي كاذبة,قال تعالى:"قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ " فصار هذا القميص هو القاعدة الأساسية التي بني عليها الحكم.

❖ **المستوى الثالث:**

حين عادوا بقميص يوسف إلى يعقوب عليهما السلام,فقد حل القميص محل يوسف فالقميص هو الذي يرد البصر الى يعقوب عليه السلام,فهو من خلال هذا القميص يشم ريح يوسف قال تعالى : " ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ " .

---

1) المرجع السابق.

المبحث الثاني :

مشاهد تصويرية في القرآن الكريم

- تصوير عن طريق المجاز .
- تصوير عن طريق المجاز الإستعاري .
- تصوير عن طريق الكناية .
- تصوير عن طريق التشبيه .

التكرار في قصة سيدنا يوسف عليه السلام:

❖ **ذكر العلم في سورة يوسف عليه السلام:**

تزخر سورة يوسف بذكر العلم في آيات كثيرة منها و إن كان لكل لفظة مدلولها و معناها إلا أن كثرة ورود العلم تشير إلى المكانة البالغة للعلم و أهله و حضوره داخل فصول القصة و قد ورد ذكر العلم على ألسنة متعددة و بصيغ متنوعة في سياق هذه القصة فحينا على لسان يعقوب و حينا على لسان يوسف و حينا على لسان إخوته و لنتبع معا ورود العلم من خلال آيات السورة:

قال تعالى: " وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦ "[1] و ردد ذكر العلم بهذه الآية مرتين الأولى " و يعلمك " و به إشارة إلى تأويل الرؤى علم ، لا يكون التأويل اعتباطا و قد أوتيه يوسف عليه السلام والثانية "عليم"

قال تعالى:" ..... وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢١ "[2] و رد ذكر العلم مرتين الأولى مشابهة لصيغة الآية السادسة من حيث تعليمه عليه السلام تأويل الأحاديث غير أن الآية السادسة جاءت " و يعلمك " و الآية التي بين أيدينا بصيغة " و لنعلمه " اما الثانية " يعلمون " و جاءت لنفي العلم عن أكثر الناس.

(1) سورة يوسف الآية 6.

(2) سورة يوسف الآية 21

قال تعالى : " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ "[1] وهنا جاء بصيغة الماضي و فيما بعد جاء بصيغة المضارع .

❖ ذكر لعل :

قوله تعالى " **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعْقِلُون** " فتكررت هذه المرة خمس مرات فيما يلي مثل قوله :" يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ " كرر " لعل " رعاية لفواصل الآية ، إذ لو جاء بمقتضى الكلام لقال: " لَعَلّي أَرْجِعُ فَيَعْلَمُوا " بحذف النون و قوله :" وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ "

❖ ذكر تالله أربع مرات:

في قوله تعالى: " قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ "[2]

قال تعالى:"قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ "[3] و قوله تعالى::" قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ "[4] و قوله تعالى :" قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ "[5].

---

(1) سورة يوسف الآية 22.
(2) سورة يوسف الأية 73.
(3) سورة يوسف الآية 85.
(4) سورة يوسف الآية 91.
(5) سورة يوسف الآية 95.

❖ **ذكر يوسف عليه السلام خمسة و عشرون مرة في الآيات التالية :**

- قوله تعالى في الآية 4 : " إِذْ قَالَ يوسُفُ " - الآية 7 : " لَقَدْ كَانْ يُوسُفُ "
- الآية 8 " إِذْ قالُوا لَيُوسفَ " الآية 9 : " أُقتُلُوا يُوسُفَ " الآية 10 " لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ "
- الآية 11 : " لاَ تَأْمَنّا عَلى يُوسَفَ " - الآية 17 :" وَ تَركنَا يُوسُفَ "
- الآية 21 : " و كذلِكَ مَكنّا لِيوسُف " - الآية 29 :" يُوسُف أَعرِض عَن هَذا "
- الآية 46 :" يُوسُف أيُها الصِديقُ " - الآية 51 :" إِذ ْراودتُنّ يُوسُفَ "
- الآية 56 :" وَ كَذَلكَ مَكنّا لِيوسُفَ " - الآية 58 :" وَ جَاءُ إِخْوةَ يُوسُفَ "
- الآية 69 :" وَ لمّا دَخَلوا عَلىَ يُوسُف " - الآية 76 :" كَذلِكَ كِدناَ لِيوسُفَ"
- الآية 77 :" فَأسَرهَا يُوسُفَ " - الآية 80 : " مَا فَرّطْتُمْ فِي يُوسُفَ "[1]
- الآية 84 :" يَا أَسفِى عَلى يُوسُفَ " - الآية 85 :" تَذكُر يُوسُفَ "
- الآية 87 :" فَتَحسّسُوا مِن يُوسُفَ " - الآية 89 :" مَا فَعلَتُم بِيُوسُفَ "
- الآية 90 :" لَأنتَ يُوسُفَ قالَ أنَا يُوسُف " - الآية 94 : " إِنّي لَأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ"
- الآية 99 :" فَلمّا دَخَلوا عَلى يُوسُفَ آوَى إِلَيهِ أَبَوَيْهِ ". [2]

و ذلك تكرار ناتج من كون سيدنا يوسف عليه السلام الشخصية المحورية .

---

(1) سورة يوسف الايات:4-8-10 -11 -17 -21 -29 -46 -51- 56- 58-69 -76- 80.

(2) سورة يوسف الآيات: 84 - 85 – 87 - 89- 90- 94- 99 .

❖ **ذكر القميص ست مرات:**

إن القميص في سورة يوسف لهو محور جوانب متعددة من قصة يوسف و له دلالات و عبر و فد ذكر في القصة و هو كالتالي:

– قال تعالى: " وَجَاءُوا عَلى قَمِيصِهِ بِدَم كَذِبْ " و في هذا الموضع بين حيلتهم بتلطيخ قميص يوسف بدم كذب و الآية 25:"وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ" ﴿٢٥﴾

– الآية 26 :" قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ "﴿٢٦﴾

– الآية 27 :" وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ و في الموضعين هذين جاء القميص في معرض التحكيم و النظر في براءة يوسف عليه السلام أو إدانته ،

– الآية 28 :"فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ "﴿٢٨﴾ و هنا ظهر الحق بأن وجدوا أن القميص قد من دبر فتبين صدق يوسف عليه السلام

– الآية 93 :"ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وذلك عندما طلب من إخوته أ يلقوا قميصه على وجه أبيه فلما ألقوه على وجهه ارتد إليه بصره و هذا مشهد إنسان يحمل عاطفة قوية تتمثل في عاطفة الأبوة [1].

(1) سورة يوسف الايات:25-26-27-28-93.

❖ ذكر الرؤيا ثمانية مرات:

تجلى ذكر الرؤيا في سورة سيدنا يوسف "عليه السلام" ثمانية مرات في كل من الآيات التالية :

قال تعالى : " إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ " [1] .

قال تعالى : "قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ " [2].

قال تعالى : " وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ ..... " [3].

قال تعالى :" وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ".[4]

---

(1) سورة يوسف الاية 4

(2) سورة يوسف الاية 5

(3) سورة يوسف الاية 36

(4) سورة يوسف الاية 43

❖ ثنائيات في سورة يوسف:

ولقد تم التكرار كذلك على مستوى ثنائيات و ليس كلمات فقط و هو مؤكد في الآيات التالية:

قوله تعالى"وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ " [1] و ذلك عندما جاءه أبناؤه حاملين قميص يوسف.

قال تعالى"(معاذ الله) في هذه السورة في موضعين الأول قوله تعالى:" .....ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ "

وذكر حين دعته إلى المواقعة و الثاني قوله تعالى "قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ " و ذلك حيث دعي إلى تغيير حكم السرقة.

قال تعالى : " قُلۡنَ حَاشَ الله" في موضعين أحدهما في حضرة يوسف عليه السلام حين نفينا عنه البشرية بزعمهن قال تعالى وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ والثاني بظهر الغيب حين نفين عنه السوء قال تعالى:"ۚ ..... قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾

(1) سورة يوسف الآية 18

قال تعالى" (**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**) وردت في موضعين الأول من كلام صاحبي السجن ليوسف عليه السلام قال تعالى " ..... نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ والثاني من كلام إخوة يوسف قال تعالى: "..... فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى:(يا صاحبي السجن) كذلك وردت في موضعين الأول منهما ذكره يوسف حين عدل عن جوابها إلى دعائهما إلى الإيمان قال تعالى:"يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ [1] و الثاني حيث شرع في تعبير الرؤيا لهما قال تعالى: "يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ .[2]

(1) سورة يوسف الاية 39

(2) سورة يوسف الاية 41

❖ الدراسة الفنية لسورة يوسف عليه السلام:

1- المجـــاز:

القرآن تميز عن كل منظوم ومنثور بلغته المجازية الراقية فترى فيه الانسجام بين الدقيقة و المجاز حتى يظهر فيه الصورة الحسية مرئية و مجسدة و مشخصة بحسب ما يقتضيه الحال و المقام و الغرض و كثر فيه الميل إلى المجاز لما فيه من دلالات و أبعاد و معان تدل على مرونة اللغة و قدرتها على التصرف في الكلام في المجاز اللفظ يحمل حقيقة فضلا عن دلالته المجازية و هذا في حد ذاته يعطي اللغة قدرة على الاتساع في الكلام فيه يمكن اللغة أن تنسب القيام بالفعل إلى ما ليس له القدرة على القيام به فيتحول المعقول إلى المحسوس و غير المرئي إلى مرئي فيتضح به المعنى على أتم وجه و يبقى هو الوسيلة "من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة إيضاح المعنى إذ فيه يخرج المعنى متصفا بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع"

و يقسم المجاز شأنه شأن الفنون البلاغية على أنواع و أول من أشار إليها تقسيماته الجرجاني إذ ينقسم عنده المجاز على ضربين اللغوي أي (مرسل) و عقلي فالأول ما كان مفرد و علاقته المشابهة و الثاني ما كان في الجملة [1]

(1)عبد القاهر الجرجاني,دلائل الإعجاز في علم معاني,دار المعرفة بيروت للطباعة و النشر 1921,1402

و على الرغم من قلة المواضيع المجازية في السورة الكريمة فإنها أعطت صورة حلية و عبرت تعبيرا حليا عن المعاني وراء لألفاظ و ترى كثرة المجازات في القرآن الكريم و ذلك عندما يراد التعظيم أو التفخيم أو التشويق لأمر ما يشترط اللفظ و المعنى معا في تصويره و هذا كثير ما نجده في المجاز اللغوي الذي يعني "نقل الالفاظ من دقائقها إلى معان أخرى بينها صلة و تقسم على المرسل و الاستعارة [1] .

فإن المجاز المرسل اللغوي يعتمد على نقل الألفاظ من معانيها المتعارف عليها في أمل موضعها إلى معنى أخر يناسب غرض المتكلم لوجود علاقة تربط المعنى الأول بالثاني و يقسم على أساس العلاقة إلى مرسل و استعارة فإذا كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة فهو مجاز مرسل .

عن الاستعارة بان المعنيين فيه يرتبطان بأكثر من علاقة و أبرز هذه العلاقة التي اتضح فيها المجاز المرسل في السورة المباركة:

أ- المسببة : بأن يذكر المسبب و يراد السبب كما في قوله تعالى :" وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾[2] لأن النفس لا تأمر بالسوء إلا سبب و هو لإسراف في طاعته رغباته و نزواتها حتى تتحول بتلك الطاعة لها من مأمور إلى آمر و من منفذ إلى مريه واجب الطاعة و إنما أطلق المسبب ليدل من خلال ذلك إن الإنسان إذا أسرف في تلبية رغبات النفس سوف تكون عليه كالأمر المطاع الذي لا يناقش في شيء.

---

(1) الهاشمي احمد جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ط2 مصر1960,1379

(2) سورة يوسف الآية 53.

و يذكر المسبب (أمارتها بالسوء) مع قصد السبب يكون التعبير أبلغ و أكثر تأثير فيما يدل على أن النفس لا تأمر بالسوء إلا إذا أطيعت و أسرف في تلبية رغباتها الشيطانية فأعطاها المجاز هنا خلاصة الفكرة في أن النفس لا تكون أمارة بالسوء إلا إذا أطيعت في كل شيء فكأنها إخبار غير مباشر على أن لا تطيع نفسك في كل شيء و لابد أن تحكم العقل قبل البدء في أي خطوة كي لا تعطي للنفس فرصة أن تسيطر عليك [1]

ب- الجزئية : إذ يطلق الجزء و يراد به الكل كما في قوله تعالى:"يخل لكم وجه أبيكم..." في (وجه أبيكم) يعني ذاته فقد أطلق القرآن الكريم في الآية الكريمة الجزء و أراد الكل و عبر عن الذات بالوجه في لفظة الوجه من دلالة توحي بتوجهه(عليه السلام) لهم و انشغاله به [2]

ج- اعتبار ما سيكون أي تسمية الشيء بما يؤول في المستقبل كما في قوله تعالى :"وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ [3]

(1) طاهر بن عاشور,التحرير و التنوير ج 13,الدار التونسية للنشر .1976,1396.

(2) المرجع نفسه.

(3) سورة يوسف الآية 36.

يظهر جليا في هده الآية المجاز المرسل و هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فبه و ما وضع له علاقة ملابسة و مناسبة غبر مشابهة و في قوله تعالى : "إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا

فالمجاز(خمرا) فهو أطلق الخمر وأراد العنب [1] ولأن الخمر لا يعصر وإنما الذي يعصر هو العنب الذب سيتحول الى الخمر في المستقبل وحسي انه جاء بلفظة (الخمر) تناسب مع عمل الساقي صاحب الحلم [2].

د- المحلبة: أي أن تطلق المحل وتريد الحال كما في قوله تعالى :وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ [3]

يتكرر المجاز في هذه الاية الكريمة فسؤال القرية عبارة عن سؤال اهلها مجازا في القرية لإطلاقها عليها وحاصل المعنى (ارسل من تثق به من اهل القرية واسالهم عن القصة)فعبر بالقرية عن ساكنيها[4]

وقوله تعالى :"فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠ [5]في هذه الاية يتبادر للذهن سؤال وهو: هل العير تعقل لكي نسالها؟ان المراد هنا ليس العير ذاتها بل اصحاب العير,وهذا ضرب من ضروب البلاغة.

(1) عبد القادر الجرجاني دلائل الاعجاز في علم المعاني

(2) المرجع السابق(التحرير والتنوير)

(3) سورة يوسف الاية 81

(4) نفس المرجع السابق

(5) سورة يوسف الاية 70

أما قوله تعالى : "فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ [1]يتضح المجاز المرسل في هذه الاية في قوله تعالى(ادخلوا مصر) والمعلوم انهم لا يستوعبون مصر كلها وإنما يدخلون جزء منها فعبر بالكل وأراد الجزء فعلاقة هذا والمجاز الكلية وسمى إطلاق الكل على البعض وهي آخر علاقة .[2]

وفي الأمثلة القرآنية التالية سيتبين لنا المجاز المرسل متكررا في أكثر من آية مثل قوله تعالى : "وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ [3]

لقد شاع هذا الاستعمال المجازي حتى غلب على هذا الفعل فلذلك كثر في الكلام تخصيص العناء بالفتح والمد بهذا المعنى وكل هذا في سبيل المجاز المرسل[4]

وقوله تعالى : " وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ [5] وأطلق الإيواء هنا مجازا على الإدناء والتقريب كأنه إرجاع إلى المأوى وإنما أدناه ليتمكن من الأسرار إليه بقوله (إِنِّي أَنَا أَخُوك).

---

(1) سورة يوسف الاية 99
(2) طاهر بن عاشور التحرير والتنوير
(3) سورة يوسف الاية 67
(4) المرجع السابق(التحرير والتنوير)
(5) سورة يوسف الاية 69

وقوله تعالى : |" فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ "[1]

وقوله تعالى : "قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ "[2] المكان اصله محل الكون اي ما يستقر فيه الجسم وهو هنا مجاز العوض لان العوض يضعه آخطه في مكان الشيء المعوض عنه.

وكذلك قوله تعالى :"وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "[3] الظلال هو البعد عن الطريق الموصلة و الظرفية مجاز في قوة الانصاف و التلبس و انه كتلبيس المظروف بالظرف.

---

(1) سورة يوسف الآية 76.

(2) المرجع السابق (التحرير و التنوير).

(3) سورة يوسف الآية 79,78.

(4) سورة يوسف الآية (96,95,94).

وقوله تعالى : "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ " [1] لتنزغ مجاز في إدخال الفساد في النفس شبه بنزغ الراكب الدابة و هو نخسها.

و هناك النوع الثاني من المجاز المتمثل في الآيات الموالية و يسمى بالمجاز العقلي لقوله تعالى : "فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ " [2] ، تقدم الكلام على نظير قوله (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجِهَازِهِمْ) في الآيات قبل هذه و السناد جعل السقاية إلى ضمير يوسف مجاز عقلي و إنما هو أمر بالجعل و الذين جعلوا الساقية هم العبيد الموكلون بالكيل [3] .

و قوله تعالى : " قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ " [4] .

---

(1) سورة يوسف الآية 100 .

(2) سورة يوسف الآية من 70 إلى 75 .

(3) طاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير .

(4) سورة يوسف الآية 108 .

بصيرة هي الحجة الواضحة و المعنى أدعو إلى الله ببصيرة متمكنا منها و وصف الحجة ببصيرة المجاز العقلي و البصير صاحب الحجة لأن هبها صار بصيرا بالحقيقة[1]

و آخر مثال قوله تعالى: " قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ"[2]

يظهر في قوله تعالى: (إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ) مجاز عقلي عن الضعف و العجز و علاقته السببية .

2 ـ المجاز الإستعاري :

قال الله تعالى: " يَا أَسَفَى عَلَى يُوسف ..." مجاز استعاري تصريحي في قوله تعالى:" وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ " فقد شبه إمتلاء قلبه بالحزن على يوسف بامتلاء الماء و شبه صبره في أمره و تركه

الشكوى لغير الله برباط الربط على فم القرية حتى لا يخرج منها الماء و هذا معنى الكظم و قيل في التآسي و الصبر ما أعطيته لأحد لأعطيها يعقوب عله السلام [3] .

و تتجلى الاستعارة كذلك في هذه الآية في قوله تعالى:"يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾[4]

فقوله تعالى: (ولا تيأسوا من روح الله) أي لا تقنطوا من فرجه تعالى و تيسيره و تنفيسه و أصل معنى الروح بالفتح و التنفيس ، يقال : أراح الله الإنسان إذا تنفس ، ثم استعير للفرج و فسر " الروح" بالرحمة على انه إستعار من معناها المعروف بأن الرحمة سبب الحياة كالروح و إظافتها إلى الله منه سبحانه و تعالى [5]

---

(1)طاهر بن عاشور التحرير و التنوير .

(2)سورة يوسف الآية 14 .

(3)أبو قاسم جار الله الزمخشري ، الكشاف عن عيوب الأقاويل شرحه و ضبطه و راجعه يوسف الحمادي ، مصر مكتبة ط ت ت 459/1 .

(4)سورة يوسف الآية 87 .

(5)أبو موسى محمد ، التصوير البياني ، مصر القاهرة مكتبة وهبة ص 207 .

وكذلك قوله تعالى: "قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ .[1]

فتشمل هذه الآية على الإستعارة أيضا و هي متمثلة في قوله تعالى (لا تثريب) أي لا تأتيب و لا لوم عليكم و أصله من الثرب و هو الشحم على الجفون و على الكرش و استعير للوم باللوم تظهر العيوب كما بإزالة الشحوم يبدو الهول فالجماع بينهما طريان النقص بعد الكمال [2] ، أما في قوله تعالى : " إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾[3] ، (رأيتهم لي ساجدين) في هذا القول الكريم يشبه المذكور بقوم عقلاء ساجدين فأخذت حكمهم لأنها لما وصفت بما هو خاص بالعقلاء و هو السجود إجري عليها حكمهم كانها عاقلة و هو كثير شائع في كلام العبر فعند ملابسة الشيء من بعض الوجوه فيعطي حكما من أحكامه إظهارا لأثر الملابسة و المراقبة و هنا تجلت الإستعارة المكنية التي حذف منها المشبه به و رمز له بأحد لوازمه [4].

3 ـ الكنايـــــــــــة :

تعد الكناية عند العرب من البراعة و الإستهلال و هي عندهم أبلغ من التصريح و الكناية عن الشيء الدلالة من غير تصريح بالسمة .

و عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكر باللفظ الموضوع له من اللغة و لكن يجيء إلى معنى هو تالية و رديفة في الوجود فيسيء به و يجعله دليلا عليه فيدل على المراد من طريق أولى.

---

(1) سورة يوسف الآية 92 .
(2) لسان العرب لابن منظور مادة ث ، ر ، ب ، دار الحديث 2003 .
(3) سورة يوسف الآية 4 .
(4) أبو قاسم جار الله الزمخشري ، الكشاف عن العيوب و الأقاويل شرحه و ضبطه راجعه يوسف الحمادي ، مصر مكتبة ط ت ت 459/1 .

و قد اختلف في أنها حقيقة أو مجاز فمن أجاز بوجود المجاز في القرآن أجاز بوجود الكناية في القرآن الكريم كذلك,و ظاهر أنها ليس مجاز و لكنها باب من أبواب المجاز شانها من شان الاستعارة لأنها استعملت اللفظ فيما وضع له و اردت به الدلالة على غيره و لم تخرج عن أن يكون مستعملا فيما وضع له و هذا التشبيه بدليل الخطاب [1]
و الكناية موضحة في الآيات الموالية:

قال تعالى:"وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ [2] ، ففي قوله (راودته التي هو في بيتها) كناية عما تطلب المرأة من الرجل [3] ، و قوله تعالى : "وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾[4] ، ففي قوله (و ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) فابيض من العينين في الآية الكريمة يدل على شدة الحزن الذي يولد البكاء و من ثم يؤدي ذلك إلى القلب سواد العين إلى بياض فكأنما انمحت معالم عينه بسبب كثرة البكاء و شدته و تحولت إلى قطعة بيضاء لا تر ى فيها شيئا من معالم العين و لو عبرة الآية الكلام على حقيقته بأن يقال (ذهب الله ببصره) لما دلت هذه شدة الألم و العذاب الذي عاشه نبي الله يعقوب عليه السلام على ابنه إذن الآية قصدت الجزء المركزي للعين الذي فيه يمكن البصر و إنما أطلق البياض من باب المجاز لما في ذلك من دلالة على ما كان يحسه يعقوب عليه السلام من أحزان و آلام على فقد ابنه الحبيب و إنه ما فقد بصره إلا من كثرة الحزن و البكاء عليه فكأنما ابيضاض العين مرتبط بالبكاء الشديد المصحوب بالعبرة و الآلام و هذا ما كان عليه حال النبي يعقوب عليه السلام و الذي يبدو لي أن بياض عين يعقوب عليه السلام حقيقة لا مجاز لأنه من كثرة البكاء نزل في عينه الماء الأبيض فصارت كلها بياضا أي صارت في عينه غشاوة بيضتها .

(1) الإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ج 2 دار الجير بيروت .
(2) سورة يوسف الآية 23 .
(3) المرجع السابق .
(4) سورة يوسف الآية 84 .

و قيل إن الابيضاض كناية عن العمى (عدم الإبصار) أي قد ذهب بصر يعقوب عليه السلام و في هذا المثال القرآني كناية عن صفة [1] .

و قوله تعالى : " **وَ قَالَ المَلِكُ أتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْه لِنَفْسِي فَلَمّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِين أَمِين ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظ عَلِيم** " [2] ففي قوله (أستخلصه) و المعني أجعله خالص لنفسي أي خاصا بي لا يشاركني فيه أحد و هذه الكناية عن شدة إتصاله به و العمل معه و قد دل الملك على استحقاق يوسف عليه السلام و تقريبه من ما ظهر من حكمته و علمه و صبره على تحمل المشاق و حسن خلقه و نزاهته فكل ذلك أوجب اصطفاءه [3] .

و قوله تعالى : " وَ كَذَلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نَصِيب بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاء وَلَا نُضَيِّعُ أَجْرَ المُحْسِنِين ، وَ لَأَجْرُ الآخِرَة خَيْر لِلّذِينَ آمَنُوا و كَانُوا يَتقُون "[4] .

و قوله (يتبوأ منها حيث يشاء) كناية عن تصرفه في جميع مملكة مصر فهو عند حلوله لمكان من المملكة لو شاء أن يحل بغيره لفعل [5] .

و قوله تعالى : " **وَ كَأَيّن مِنْ آيَة فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ يَمُرُّون عَلَيْهَا وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُون ، وَ مَا يُؤمِنُ أكثرهم بالله إلا و هُمْ مُشْرِكُون** " [6] مرور الكناية عن التحقق و المشاهدة إذ لا يصح حمل المرور على المعنى الحقيقي [7] .

---

(1) طاهر بن عاشور التحرير و التنوير .
(2) سورة يوسف الآية 54 ، 55 .
(3) المرجع السابق .
(4) سورة يوسف الآية 56 ، 57 .
(5) طاهر بن عاشور التحرير و التنوير .
(6) سورة يوسف الآية 105 ، 106 .
(7) المرجع السابق .

و هكذا يجتمع المجاز بنوعيه و مشتقاته في إيصال بأكثر تأثير و أبلغ تعبير حتى تكاد أن تظهر للوهلة الأولى بأنها حقيقة و في المجاز ترسخ الفكرة في ذهن المتلقي و تصل إلى القلب و تحرك المشاعر و الأحاسيس لديه لأن المجاز هو المعنى الباطن للكلمة أو للعبارة إذ يجعل الكلمة أو الجملة تدل على معنى آخر غير معناها الحقيقي و كأنه يعبر عن المعنى بطريقة غير مباشرة فعندما يقول (اسأل القرية) لم يقصد بذلك السؤال نفسه بل المقصود إلى من وجه السؤال ؟ و كان موجها للقرية و لكن هل القرية تتكلم ؟ بالتأكيد لا تتكلم و من ثم فإن استنطاق المعاني يحمل في طياته مقاصد و أهم مقصد كما تقدم هو لتأكيد الكلام المساق فيه المجاز و عندما يقول (يأكلهن سبع عجاف) فالسنون لا تأكل و لا تشرب و إنما هي مأكول فيها يسند العقل فتون الجملة قد حملت معنى و هو شدة الحدب و القحط فيها [1] .

أفلا يدل هذا المجاز على معان كانت مختفية وراء الكلمات و التراكيب الإسنادية و لا تصل إلا بعد أن تشغل الفكر و تطيل النظر بتأمل و تستعين بالعاطفة و الإحساس الأدبي و حينها تصل إلى معانيه المختلفة وراء الألفاظ فلا غريب أن تقول أن المجاز عقل و عاطفة معا ، يشتركان في تحليل النصوص ، و يبقى للمجاز أثر في اتساع اللغة و شموليتها و أثر في تصوير العبارة بحسب ما يقتضيه المعنى و الغرض لدى المتكلم و على الرغم من قلته بنوعيه فإن له أثر في الجانب البلاغي البياني في السورة المباركة [2] .

---

(1)أبو قاسم جار الله الزمخشري ، الكاشف عن عيوب الأقاويل شرحه و ضبطه و راجعه يوسف الحمادي ، مصر مكتبة ط ت ت 459/1 .

(2)عبد القاهر جرجاني دلائل الإعجاز في علم المعاني .

4 ـ التشبيـــــــــه :

هذا المقال يدور حول التشبيه في سورة يوسف عليه السلام فنرى أن التشبيه كان قليلا جدا ، يأخذ التشبيه في القرآن الكريم حيزا متميزا من بين سائر فنون البيان خاصة و البلاغة عامة لما في الألفاظ من طاقة إيجابية و ما في تركيبه من قدرة تصويرية معبرة و مؤثرة إذ أنه بتراكيبه التصويرية يخلق عملية التخيل لدى المتلقي فيما يقرأ أو يسمع و بهذا تحصل لديه متعة القراءة و الاستماع .

و التشبيه بأبسط معانيه يعني (الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى) أي أنه يجمع بين أمرين يشتركان بصفة أو أكثر ، و للتشبيه أربعة أركان هي المشبه ، المشبه به ، أداة التشبيه و وجه الشبه وعلى أساس هذه الأركان يقسم على أنواع مختلفة [1] .تميزت سورة يوسف عليه السلام عن سائر السور القرآنية بطابعها القصصي المميز و بندرة ألفاظها و تفردها بها عن غيرها و كان التشبيه فيها طابعه المميز الخاص بها دون سائر السور القرآنية .

إذن فهي سورة لها طابعها الخاص في كل شيء و جاء التشبيه فيها مفهوما من السياق و لم يصرح به تصريحا أي انه تشبيه ضمني إذن هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه و المشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمح المشبه و المشبه به و يفهمان من المعنى و يكون المشبه به دائما برهان على إمكان ما أسند إلى المشبه [2] .

(1) الدكتور جابر عصفور ، الصورة الفينة في التراث النقدي و البلاغي عند العرب .

(2) عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز في علم المعاني .

و هذا يعني أن التشبيه يأتي خاليا من الأداة و وجه الشبه و هذا ما نجده في قوله تعالى على لسان النسوة : "فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ [1] فانظر إلى الآية الكريمة لا ترى فيها أي ركن من أركان التشبيه فالأداة لا وجود لها و وجه الشبه مختف و المشبه به متداخلان لكن التركيب يحمل في طياته تشبيها لم يصرح به بل هو تشبيه واقع ضمن الكلام .

فلما رأين النسوة النبي يوسف عليه السلام انبهرن بجماله و وقاره و حسن أخلاقه فشبهنه بالملك الكريم و لم يصرحن بذلك على ادعاء أن المشبه و المشبه به نفسه تقوية للصفة التي يشترك بها مع المشبه به (ملك) فيبدو أن المشبه كأنه المشبه به نفسه للصفة و أن هذا النوع من التشبيه الذي تحذف فيه الأداة و وجه الشبه ما هو إلا التشبيه البليغ و هو أعلى مراتب التشبيه في البلاغة و قوة المبالغة لما فيه من ادعاء أن المشبه به و لما فيه من الإيجاز الناشئ عن حذف الاداة و الوجه معا هذا الإيجاز الذي يجعل نفس السامع تذهب كل مذهب و يوحي لها بصورة شتى من وجوه التشبيه .

أي أن شدة التداخل بين المشبه و المشبه به يدعو إلى الاستغناء عن الاداة لأننا لا نحتاج حينها إلى دليل يدلنا على ما اشتركا به ، فضلا عن أن وجه الشبه المحذوف سيتضح بذكر المشبه به لقوة الصفة فيه [2] .

فعندما تذكر (ملك كريم) دلتنا على وجه الشبه المحذوف هو الجمال و حسن الأخلاق و عندما تذكر (بقرات سمان عجاف) تدل الاولى على أن وجه الشبه المحذوف هو الحياة في حين الثانية على ان وجه الشبه المحذوف هو الجوع .

---

(1) سورة يوسف الأية 31

(2) الدكتور جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي .

وهناك نوع آخر من التشبيهات و هو التشبيه التمثيلي الذي يكون فيه كل أركان التشبيه مثل قوله تعالى : " **إِنَهَا شَجَرَةٌ تَخْرجُ فِي أَصلِ الجَحِيمِ طَلعُهَا كَأَنّهُ رُؤُوسُ الشَيَاطِينْ** " فقد شبه الله تعالى طلعها برؤوس الشيطان تبيعا لها و تكريا لذكرها و إنما شبهها برؤوس الشياطين و إن لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر ، أما من حيث فقد تقرر أن لا شيئ أحسن من الملك فلما أرادت النسوة وصف يوسف عليه السلام بالحسن شبهه بالملك كما توضح ذلك في المثال الراهن ، كان ورود الكاف في السورة المباركة لأغراض تخدم سياق السورة ، فالتشبيه فيها يكون واضحا و لا يحتاج إلى عناء و تفكير فجاءت حاملة معاني رئيسية و هي التساوي و الإيضاح و التأكيد ، و فيما يأتي تفصيل ذلك [1] ، جاءت الكاف حاملة معنى التساوي بين المشبه و المشبه به لتهدف لغرض و هو :

أـ البشارة و تأمين النفس كما في قوله تعالى قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ لِلۡإِنسَـٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥

وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَـٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦ [2]

.

(1) عبد القاهر الجرجاني دلائل الاعجاز في علم المعاني

(2) سورة يوسف الاية 5-6

فقد ساوت الآية الكريمة بين الإجتباء للرؤيا و بين الإجتباء لأمور العظام لأن كليهما يدل على العزة و علو الشأن و شدة التشابه بينهما ترك القرآن الكريم إذا التشبيه البشارة إلى النبي عليه السلام و مطمئنا لنفسه التي ربما خافت من الرؤيا أو روعة منها لأنه سيصبح ذا شأن في المستقبل ، و مثله كما في قوله تعالى:" وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"[1]أي إتمام كائن كإتمام نعمته على أبويك من قبل هذا الوقت أو من قبلك ، فمثلما أتم النعمة على أبويك من قبل بالنجاة و الخلاص و الاجتباء يتمها عليك في زمنك و بذلك يبشره بأنه سيكون له كما كان لأبويه فقد جمع بين حالة أبويه (إسحاق و إبراهيم) فبالنجاة و الخلاص و الاجتباء لغرض تبشيره بما سيكون عليه في المستقبل.

و خلاصة القول أن النعمة التي تصاب بها على وجه الإتمام هي تساوي و ليس تشبيه النعمة التي أصابت أبويك قبلك و سوف تمر بمحن و مآسي إلا أن الله سينجيك منها و يخلصك كما خلص أبويك من قبل و يوصل لك نعمة الدنيا بنعمة الآخرة ، و هذه كلها بشائر حملها إليه بذلك التشابه الجامع بينه و بين أبويه عليه السلام .

ب ـ و قد يساوي بين الشيئين لغرض الإستنكار كما في قوله تعالى " قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾"[2] أي أن حفظكم له سيكون مشابها لحفظكم فيما سبق لأخيه و بهذا قد أنكر عليه الحفظ له فمثلما فرطتم في يوسف عليه السلام من قبل لا غرابة أن تفرطوا في أخيه الآن .

(1)سورة يوسف الآية 6.
(2)سورة يوسف الاية64

ج ـ و قد يكون الغرض منه المواساة و التسلية لبني (محمد عليه الصلاة و السلام) كما في قوله تعالى :" وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [1] و أنك لو حاولت أن تعقد تشبيها في البية لما احتجت إلى طول تفكير و لا عناء في البحث عن أركان التشبيه و لكن القرآن الكريم أراد أن يجمع بين حال النبيين في المعاناة و المحن لغرض المواساة للنبي محمد صلى الله عليه و سلم و تسليته فمال إلى التشبيه ليبدو كل منهما مشبها و مشبها به فالكاف في هذا الآيات وسيلة جمع بين شيئين يشتركان في امر واحد بحد التشابه الذي لا يميز فيه المشبه من المشبه به فيجمع بينهما بهذه الطريق التي تبدو بأنها تشبيه إلا انها ليست بتشبيه بل هو تشابه بين طرفين لدرجة لا يمكن أن ترجع أحدهما على الآخر و خرج ذلك التشابه على أغراض أشير إليها فيها تقدم خدمة لسياق السورة و الآيات الواردة فيها .

(1) سورة يوسف الاية 56

و قد تأتي الكاف لا للتشبيه و لا للتشابه بل بمعنى (مثل) و هي بهذا الكون وسيلة إيضاح لما تقدمها من كلام ، و تأتي هي مع الآية بعدها بمثابة المثل على الكلام المتقدم[1] لها كما في قوله تعالى :" **قَالُوا فَمَا جَزَاءُهُ إِنْ كُنْتُم كَاذِبِين، قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رِحْلَه فَهُوَ جَزَاءُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِين ، فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِم قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ استَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُف مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِك إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله نَرْفَعُ دَرَجَات مَنْ نَشَاء وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْم عَلِيم**" [2] .

ففي قوله تعالى :(كذلك نجزي الظالمين) أي هذا جزاء السارق الجزاء يشبه جزاءه في حكم آل يعقوب باسترقاقه فالتشبيه يكون خاليا من الحركة الحيوية و القصد انه مثل ذلك الجزاء أي نفسه لا يشبهه ، و مثل قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف) أي مثل ذلك الكيد العجيب و هو إرشاد الإخوة إلى الإفتاء المذكور بإجرائه على ألسنتهم و حملهم عليه بوساطة المستفتين من حيث لا يحتسبوا (كدنا ليوسف) أي صغنا و دبرنا تحصيل غرضه من المتقدمات التي رتبها من دس السقاية و ما يتلو أي أفادة الشيء نفسه لا تشبيهه و أضحت وسيلة الإيضاح لما تقدم مع إشارة إلى الكلام المتقدم لها لتصح هي و ما بعدها بمثابة المثل عليه .

---

(1) عبد القادر الجرجاني ، في دلائل الإعجاز .

(2) سورة يوسف الآية 74 إلى 76 .

و قد تأتي وسيلة لتأكيد الأمر و تحقيقه كما في قوله تعالى :" وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ "[1] فجاءت تأكيدا لعصمته عليه السلام و عفته ، فكأنما تعطي أن المراد من الامر هو ما أخبرت به و ليس فيها من التشبيه شيء و التقدير الأمر أو عصمته مثل ذلك أي تحقيقا لعصمته و تأكيدا لها أنه يصرف عنه السوء و ليس هو الذي عن السوء .

و هكذا تأتي الكاف حاملة معاني مختلفة تهدف من ورائها لأغراض تخدم سياق السورة و تتمه [2] ، و كما رأينا ان التشبيه في السورة المباركة أثرا في إضفاء لمحة فنية بلاغية على طابعها العام سواء كان مصرحا به أم ضمنيا أو بالاعتماد على الأداة التي تجمع بين المتشابهين لغرض معين خادمة بذلك سياقها العام متممة معانيها اللطيفة و ألفاظها المتماسكة و سياقها القصصي .

و هكذا تبدو بلاغة القرآن و روعته في التصوير ما يقرب بين متباعدات بعقد التشبيه بينهما بالاعتماد على صفة يشتركان فيها و هي في المشبه به أقوى و المراد اتضاح قوتها في المشبه فيعتمد غلى هذا الانواع من التشبيه وصولا للغرض المراد [3].

(1) سورة يوسف الآية 24 .
(2) الدكتور جابر عصفور ، الصورة الفنية .
(3) المرجع نفسه

الخاتمـــــــة:

للبيان أهمية ومنزلة بين سائر علوم البلاغة لما فيه من ارتباط وثيق بالإعجاز القرآني ولعلاقته الوثيقة بدراسة اللفظة من جهة الفصاحة والجزالة والسهولة ولهذا العلم أثره البارز في توضيح القرآن الكريم وذلك لأنه يعمل على ابراز ما في القرآن الكريم وهو كتاب العقيدة الاسلامية آيتها المعجزة من الجمال التي تمتاز بها ويبين سر الاعجاز الذي امتاز به كلام الله وامتاز كلام العرب سواء من ناحية مقاصده ومعانيه او من ناحية اساليب تأديتها والعبارة عنها لهذا يعد القرآن وما يحويه من اوجه الاعجاز والبيان ميدانا متشعبا ومجالا واسعا يصعب حصره والتفقه فيه وتذوق جماله في سمو معانيه وبذاله الفاظه التي تترك اثرا في نفسية الانسان وتلك اللفظة التي اتسمت بمطلق البيان والإشراف والبيان المحكم للعبارة والقرآن بحرا واسعا لما يحمله من انواع المعارف والعلوم فهو كتاب الله المقدس الجليل الذي تحدث عن التوحيد والعقيدة وعن العبادات والمعاملات كما جاء بإجبار انبياء وأقوالهم وكانت تلك الاخبار على شكل قصص متسمة بأسلوبها الرائع الممزوج فيها الاعجاز بالروعة والصدق في الاداء مع نقل دخائل النفس البشرية لشخصيات القصة وما يحدثنا به حتى نفوسهم ويصور ما في العمق والسطح معا والذي شدنا الى موضوع مذكرتنا هو الكشف ولو بالقليل عن اسرار السمو من سحر وبلاغة وإعجاز وفن وهو التصوير الفني.

وأخيرا نتمنى ان نكون قد استوفينا جميع عناصر البحث لان البحث في القرآن بحر واسع فنحن لا ندعي اننا اكملنا جميع اطراف البحث لان هناك بعض الثغرات لا تزال مفتوحة وتحتاج لدراسة وتحليل مما شانه ان يعمق الرؤيا في اسلوب القرآن خير ما نختم به قوله تعالى:"قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدادا"

قائمة المصادر و المراجع :

1. أبو علي الفضل بن حسن الطبريسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن مجلد 4 ، طبعة جديدة ، و مصححة مكتبة الحياة ، لبنان .
2. أبو قاسم جار الله الزمخشري الكشاف ، شرحه و طبعه و راجعه يوسف الحمادي مكتبة دد/دت مصر .
3. أحمد ماهر محمود بقري ، يوسف في القرآن ، دار النهضة للطباعة و النشر ، بيروت .
4. أبي حسن علي ابن أحمد الوحادي النيسابوري ، الطباعة الشعبية للجيش ، تيبازة .
5. إبن منظور ، لسان العرب ، دار الحديث ، د ط 2003 .
6. الهاشمي أحمد ، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط 12 ، ناصر .
7. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، ط 2 ، بيروت 1972 .
8. السيوطي ، بلاغة القرآن المختار من الإتقان و معتزل الأقران ، إختيار و تهذيب و تحقيق و تعليق د.السيد الجميلي ، دار المعرفة 1413/1993 .
9. السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ط 3 ، مطبعة مصطفى البابي الحلي ، القاهرة 1952 .
10. جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ط 3 1992 .
11. محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى للقرآن ، دار الفكر العربي ، ط 1 1970 .
12. محمد أبو موسى ، التصوير البياني ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
13. محمد طاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، دار التونسية للنشر ، مج 13 .
14. محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ج 2 ، شركة الشهاب ، الجزائر .
15. محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم مجلد 2 ط 4 ، بيروت 1981 .
16. محمد صادق الرافعي ، مجاز القرآن و البلاغة النبوية ، راجعه و اعتنى به الأستاذ نجون عباني ط 1 مؤسسة المختار 2003 .
17. سيد فطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، دار الشروق ط 1 بيروت 1982 .
18. سيد قطب ، في ظلال القرآن مج 4 ، دار الشروق ط 1 بيروت 1993 .
19. عبد القادر الحسين ، قصة يوسف ط 1 القاهرة 1994 .
20. عبد القادر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، دار المعرفة للطباعة و النشر 1402-1981 .
21. عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، دار النهضة العربية ، بيروت 1958 .

22. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب ، دار الشهاب الجزائر 1988 .

إهـــــداء
مقدمـــة.....**01**
مدخـــل **03**

الفصل الأول : التصوير الفني في القرآن الكريم

المبحث الأول : مفهوم التصوير الفني في القرآن الكريم

التصوير لغتا 25
التصوير اصطلاحا 25
التصوير في القرآن الكريم 25

المبحث الثاني : مشاهد تصويرية من القرآن الكريم

التصوير عن طريق المجاز 26
التصوير عن طريق المجاز الاستعاري 26

التصوير عن طريق الكناية 27
التصوير عن طريق التشبيه 29

المبحث الثالث : سمات التصوير الفني في القرآن الكريم

سمة التخيل الحسي : ألوانه

التصوير عن طريق التخيل الشخصي 30
التصوير عن طريق التخيل الحركي 31
التصوير عن طريق التخيل الحركي المنشأ 32
التصوير عن طريق التخيل الحركي السريع 33
التصوير عن طريق التخيل الحركي الساكن 33
سمة التجسيم الفني : أنواعـــــــه 34
التجسيم من قبيل التشبيه 34
تجسيم من التخيل الحسي : ألوانه 35
تجسيم الحالات العقلية المعنوية 35

تجسيم الحالات النفسية المعنوية 35
تجسيم الوصف الحسي 36
تجسيم الوصف المعنوي الحسي 36

التناسق الفني

تناسق التعبير مع المضمون 37
إستقلال اللفظ برسم الصورة 38
التقابل بين صورتين حاضرتين 39
التقابل بين صورتين حاضرة و ماضية 39
تناسق الإيقاع الموسيقي في الصورة 40
التناسق في رسم الصورة 40
التناسق في رسم إطار الصورة 41
التناسق في مدة العرض 41

الفصل الثاني : التصوير الفني في سورة يوسف عليه السلام

المبحث الأول ماهية السورة

التعريف بالسورة 41
مناسبة نزول هذه السورة 41
فضل السورة 42
الحكمة من عدم تكرار قصة يوسف في القران الكريم 43

المبحث الثاني : محور مواضيع السورة

تمهيد 45
شخصيات القصة 46
بعض الدلالات النفسيه في قصة يوسف عليه السلام 47

المبحث الثالث : مستويات قصة يوسف عليه السلام

مستوى الرؤيا

رؤيا يوسف علية السلام 50
رؤيا فتى السجن الأول 50
رؤيا فتى السجن الثاني 51
رؤيـا الملك 52

مستوى الحيلة

حيلة اخوة يوسف 53
حيلة امرأة العزيز الاولى 54
حيلة امرأة العزيز الثانية 54
حيلة يوسف عليه السلام 55
مستوى الرمز 55
المستوى الاول 55
المستوى الثاني 56
المستوى الثالث 56

الفصل الثالث: الدراسة الفنية في سورة يوسف عليه السلام

التكرار في قصة سيدنا يوسف عليه السلام

ذكر العلم في سورة يوسف عليه السلام 57
ذكر لعل 58
ذكرتـــالله 58
ذكر يوسف عليه السـلام..... 59
ذكر القميص 61
ذكر الرؤيا 61
ثنائيات في سورة يوسف 62
الدراسة الفنية لسورة يوسف عليه السلام:
المجاز اللغوي المرسل و العقلي 64
المجاز الإستعاري و التمثيلي و التصريحي و المكني 71
الكنايـــــــــــة (عن صفة و موصوف) 72
التشبيـــــــــــه التمثيلي و الضمني و البليغ 76

الخاتمــة..... 84